العلاقات الإنسانيّة في الأسرة الصّغيرة والكبيرة من رُؤى الإمام الباقر عليه السلام

المدرس الدكتور
عبّاس إسماعيل سيلان
جامعة ميسان ـ كلية التربية الأساسية
abbasabbas19812015@gmail.com

البحث الثاني الفائز بجائزة باقر علم النبيين الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام الدولية للإبداع الفكري

تتفتح الأعين في عصرنا هذا، العصر النّاضج بالرُّؤى والأفكار على تحلّل وتخبّط في غير الجادّة، وقد صيّره هذا قاب قوسين أو أدنى من الهاوية، بل إنّ معظمه راح ضحية تلك الرؤى والأفكار، ولاسيّما الأمر مع الأسرة والمجتمع، حتى وجدنا التباغض والتّخاذل والتّقاطع مفاهيم وجدتْ طريقها في مسالك عصرِنا التّائه، ورسخت شواخصها في أزقّة المسلمين المتهالكة، فسمِعْنا بأنّ هناك مَنْ قتلَ أخاه فأعاد نهج قابيل، وثَمّة ابنٌ يسفك أباه، وأبٌ يبطش بابنه، ومشكلات الزوج مع زوجته مستيقظة لا تنام، هذا المنظر لا نراهُ حتّى بين حيوانات الغابة، وإذا كان هذا الأمر مع الأسرة التي تربطها رابطة الدم فإنّ الأمر مع المجتمع سيكون أخطر وأكثر؛ لذا نجد النزاعات سمة العصريّة، وما تزال الأزمات تتوالى وتتفاقم، ممّا يشكل هذا دافعًا قويًّا إلى البحث عن العلاجات، ويجد الباحث نوافذ شتّى تُدلي بعلاجاتها لكن أكثرها تتناقض فيما بينها، ففي تربية الطفل ـ مثلا ـ عزا بعضهم الامر كل الامر الى عامل الوراثة، وجاء غيره وأكد أنّ الأمر منحصر بالتّربية على النحو مما نجده عند واتسون، ولكن الاسلام مزج بين الاثنين ليخرج بنظرية قوامها الانسانيّة والعلميّة، وحين نأتي الى المجتمع نجد بعضهم يسحق الطبقات السّفلى على النحو مما عند نيتشة، فاسمع ماذا يقول هذا الفيلسوف الألماني الذي بنى فلسفته على أساس التفوق العنصري: ((علينا أن نقذف بالرأفة والرقة من قلوبنا جانبًا؛ فانّ الرأفة من العجز وانّ التواضع والطّاعة من الذلّة، وإنّ الحلم والعفو والإغضاء من الوهن وفقدان الهمّة. فلماذا نقتل نفوسنا؟ بل علينا أنْ نربيها فنقدسها ونعبدها أما الضعيف والعاجز فعلينا أن نتركه ليموت وحده))[1].

هذه هي أفكار بعض مفكريهم ولا شك أنّ الأخذ بها يجعل الحروب على قدم وساق. وأين هي من الاسلام الذي لا فرق عنده بين الطبقات المتنوعة الا بالتقوى؟! ومن رجالات الإسلام الخالدة الحقيقية التي جادت علينا بالرؤى الناصعة الخلّابة الامام الباقر، تلك الرؤى امتازت بالغنى والاحاطة والشمول على النحو مما في بناء الاسرة وتقويمها وهذه الرؤى هي نفسها تنعكس على المجتمع بحكم أن الأدوات مشتركة، وفي الحصيلة فان كل مشكلة أسرية تولد مشكلة مجتمعية؛ فمثلا ((يولّد التوتّر العائليّ ارتباكًا في المجتمع، فالمجتمع عبارة عن مجموعة أسر، والأسرة عبارة عن مجموعة أفراد، فالإنسان عندما يوتّر نقطة من نقاط المجتمع، فكأنّه رمى حجرًا في حوض هادئ، وإذا بالحجر يوجد... تيارات إلى أبعد الحدود فهو عندما يتوتر مع الزوجة يوتّر الأولاد ووالديها ووالديه وأمّة من الناس، وتبدأ المشاكل بين شرائح اجتماعية، وإذا بيوم القيامة يأتي وعليه مثل جبال تهامة وزرًا من الغيبة والكذب والبهتان)) [٢]، فالتقارب والتلازم بين الاسرة والمجتمع شجّع الباحث الى أنْ يجمعهما معتمداً النهج الباقريّ ففيه الصلاح التام، فقد كان عليه السلام لفرط حبه بالامة والانسانيّة ولمعرفته البالغة بعجز الرؤى الأخرى عن انجاح الحقيقة كان يؤكد على الانتهاج بنهج العترة، فيقول: ((رحم الله عبداً حبس نفسه علينا، رحم الله عبداً أحيا أمرنا))[٣]، وإحياء أمرهم هو الاهتداء بهديهم، ويقول لصاحبين من أصحابه: ((شرّقا وغرّبا، فلا تجدانِ علمًا صحيحًا إلّا شيئًا خرَجَ من عندِنا أهلَ البيت))[٤]، ولم يقتصر الامر على ذا، بل زاد الحثّ على ضرورة نشر معارفهم، فـ ((عن سعد الإسكاف قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام إنّي أجلس فأقصّ وأذكر حقّكم وفضلكم، قال: وددْتُ أنّ على كل ثلاثين ذراعًا قاصًّا مثلك))[٥]، هذا الشهادات وهذا التوثيق لم يأتِ إلا من فرط العناية بالامة والايمان التام بتخبط سائر الافكار الاخرى.

وبعد أن تبلورت الفكرة بدراسة الاسرة والمجتمع عند الإمام الباقر ولكن بالقراءة تبين أنّ الامام يوسّع علاقات الاخوة والبنوّة والأبوّة الى درجة أنّك ترى المجتمع عبارة عن اسرة كبيرة، ففي الوقت الذي نجد الدراسات تعبر عن الأسرة بانّها مجتمع صغير نجد ان المجتمع عند الامام عليه السلام عبارة عن اسرة كبيرة، فلفظ (اخ) كثيراً ما جاء عنده عليه السلام للتّعبير عن المؤمن أمّا التّعبير السّائد عنه بأنّه ابن الاب او الام، فيكاد هذا يحتلّ نسبة قليلة جدًّا، يكفي أنْ نتأمل قوله حين قال له: ((عمر بن عبد العزيز... يا أبا جعفر، أوصني قال: أوصيك أنْ

تتخذَ صغيرَ المُسلمين ولدًا وأوسطهم أخًا وكبيرهم أبًا؛ فارحمْ ولدَكَ، وصلْ أخاكَ وبرَّ أباكِ))[٦]، ان هذه النظرة الشمولية للاسرة يقابلها تهميش واضح للقبيلة فنكاد لا نجد لها ذلك ذكرًا في المعجم الباقريّ، ولا يغيب على احد انه رسخ في الاذهان التلازم بين القبيلة والعصبية، واين ذكرها أو حتى ذكر العشيرة من ذكر (الرّحم) الذي احتل مجالًا واسعًا من الموروث الباقريّ، لما في الرّحم من الرحمة والتّواشج الانسانيّ.

هذا الامر شرع لنا عمل البحث (العلاقات الانسانية في الأسرة الصغيرة والكبيرة من رؤى الامام الباقر عليه السلام)، وكان بامكان الباحث أنْ يسمّي البحث بتسمية أخرى مألوفة أو أن يجعل من بحثه هذا بحثين، ولكنه عرج لما ذكرَ رسالةً الى كلِّ مَن لا يتلمّس الفضل الاسلاميّ والنّهج الاماميّ، فبهذا الفضل وبذاك النهج تعززت الرحمة الانسانية، وجعلت التّعامل مع الاسرة والمجتمع بمنزلة واحدة عنوانها الرحمة، وهذا ما يقلّل او يستأصل كثيرًا من المشكلات المردية، إنّ القول بان المجتمع هو أسرة يترجم لأفراده انهم اقارب، واستشعار ذلك يعزز الانسانية المُثلى.

وقد قسم البحث على تمهيد وثلاثة مباحث، أما التمهيد فخص العلاقات الانسانية والاسرة بنوعيها المقترحين: الصغيرة (الاعتيادية) والكبيرة (المجتمع) ثم عرج على ذكر الامام ولأن بحثنا هذا عاما في قضايا المجتمع بل التركيز على العلاقات، وأخصّ الانسانية بعد أن أصبحت هذه العلاقات سقيمة وحاولت الاتجاهات ادخالها في الوقت المعاصر الى المدارس والدوائر والمعامل ولم اجد دراسة تتناول الاسرة والمجتمع، وكان هذا دافعا آخر، زد على ذلك أن المصالح والاغراض الشخصية هي السائدة، واذا كانت العلاقات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية مهمة جدا فهي تتوقف على الانسانية أولا، ومن هنا ليس من العجيب ان تكون قطب الحياة، وقد سئل ديوجينس[٧] ماذا يفعل وهو يحمل مصباحًا مضيئًا وسط النهار قال إنه يبحث عن الإنسان .

ثم كان المبحث الاول وضمّ العلاقات الانسانية في الاسرة الصغيرة، فكانت قمة العطاء والمودة والتعاون والتحابب وشاع طيب هذه العلاقات كذلك في المبحث الثاني الذي ضمّ العلاقات الانسانية في الاسرة الكبيرة (المجتمع)؛ ليختم بالمبحث الثالث وكان في النتائج المترتبة في بث العلاقات الانسانية من المعجم الباقريّ.

أقول: إن نهوض الامة بات من أوليات الفكر الانسانيّ، وليس ببعيد ذلك النُّهوض على أمتنا لكنه يكون بأنْ نعزز الثقّة بالنّفس، فـ ((التاريخ يُنبئنا بأنّ الدّعوات الإصلاحيّة التي هزّت في الماضي كيان الإنسانيّة ورفَعَتها إلى أسمى المنازل لم تأتِ من الشُّعوب المتسلّطة، بل من الشعوب الضّعيفة والمغلوب على أمرها بفعل دعوات المصلحين والمفكّرين والفلاسفة لها؛ لتبديل ذهنية السلوك والعصر، فأحدث ذلك تبدلًا جذريًّا ما لبِث أنْ بدّل العالم بأسره))[٨]، هذا من الميسور على خير أمّة، والأمل موجود ويتنظر العمل الذي هو الفيصل في تحقيق الانجاز.

وقد لاقى الباحث صعوبة كبيرة بسبب تنوع المشارب وسعة مساحة البحث لكن الهدف بتقديم جهدٍ يخدم الامة، ويحل المشكلات سهّل المهمة وساعَدَ في إتمام العمل.

وختامًا نقول: ربّنا اجعلْ هذا العمل خُطوةً في سبيل الوُصول إلى طريق الذين ﴿آخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة يونس: ١٠).

التمهيد: التعريف بمفاتيح العنوان

القسم الاول: العلاقات الانسانية:

العلاقات الانسانية: من المفاهيم التي شاع استعمالها في الدّراسات المعاصرة[٩]، وتعني: عمليّة تنشيط واقع الأفراد في موقف معين مع تحقيق توازن بين رضائهم النفسيّ وتحقيق الأهداف المرغوبة، أو أنّها الأساليب السُّلوكيّة والوسائل والأساليب التي يمكن بها استثارة دافعية النّاس وحفزهم على المزيد من العمل المثمر المنتج، وتركز على الأفراد أكثر من تركيزها على الجوانب الاقتصادية أو الماديّة، كونها تشير إلى تفهّم عميق لقدرات النّاس وطاقاتهم وإمكاناتهم ودوافعهم وحاجاتهم واستعمال كل العوامل لتحفيزهم على العمل، وتسعى لتحقيق الهدف في جوّ من التفاهم والتعاون والتعاطف والتّحاب[١٠]، وهذا ما جعلها تصيِّرُ من المرونة ميزة العلاقات الناجحة والاستمرار في تحقيق نجاحات مرجوة[١١].

وعادة ما تكون العلاقات الانسانية محلّ الدِّراسات في الجانب المدرسيّ والمؤسّسات التجاريّة والمعامل[١٢]، ومن هنا ارتأى البحث دراستها في الأسرة والمجتمع، فعلاقتها الانسانيّة مهمة جدًّا لإنجاحها. وهذه العلاقات تركز على تجنب التسلط وجعل الانسانيّة فوق

كلّ شيء ببثّ المودة والمساندة بين الأفراد[١٣]، واذا كانت الجوائز المعنوية والحوافز تزيد الانتاج[١٤]، فانها في الاسرة والمجتمع تزيد التطور وتبث على التقدم.

القسم الثاني: التعريف بالاسرة الصغيرة والكبيرة.

الاسرة: ((مؤسسة إنسانيّة تقوم على أكتاف شخصين هما الرجل والمرأة ودافعهما في ذلك أمر ذاتي يجدانه في أعماقهما)) [١٥]، و((للأسرة في الواقع دور مؤثر وهام في بلورة الشخصية (الجماعية والفردية) وفي مساعدتها على إحداث التغيير والتحويل الضرورين في الصفات الذاتية والموضوعية)) [١٦]، وخصوصاً بعد ان تفشى الانهيار في مرافق الحياة، يقول الشيخ حبيب الكاظمي: ((إننا لا نفشي سراً عندما نقول بأنّ كلّ شيء بات حولنا أرضيةً للفساد والإفساد مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ (سورة الروم: ٤١)، ولو استوعب النّاس الأمر في حينه لعلّه أضيف إليه (الفضاء)، فهذا حالُ مدارسنا بمناهجها وأجوائها، وهذا حال الشّارع والسّوق ناهيك عن الفضائيّات والمواقع، فلم يبقَ الا حصن الأسرّة، فلو استسلم أصحابه للغزو الثقافيّ الشّامل لسقَطَ آخر معاقل الصمود))[١٧] واهمية الاسرة ضرورة عصرية على النحو ممّا ما قاله العالم غودسل: ((إنّ للعائلة اليوم مكانةً بارزة في المجتمع لا بل هي الرّكن الأساسي في كيان المجتمع الحديث))[١٨].

أما المجتمع فهو على حد تعبير رالف لنتون: ((عبارة عن مجموعة منظَّمة من الأفراد))[١٩]، وكونها منظمة فهي ملتزمة فيما بينها باصول وقواعد، وهذا التعريف يقارب تعريف "توينبي" ((إنّ المجتمع البشريّ هو في ذاته نظام للعلاقات بين الكائنات البشريّة))[٢٠]، فالذي يجمع التعريفين هو التركيز على النظام، ومثل هذا النظام سنجده عند الامام الباقر في الاسرة والمجتمع لكنه نظام مطبوع بالحب والمودة والاخاء، بل سنرى فيما يأتي ان الامام الباقر يرادف بين الاسرة والمجتمع من جهة المكونات، حتى كثر استعمال اللفظ (أخ)، وهذا ما تفتقر اليه الاتجاهات الاخرى، بل ربما يمضي الامر الى التعبير عن العبد بما هو اقرب من الاخ فيجعله بمنزلة النفس؛ فقد روي عنه: ((أيدخل أحدكم يده في كمّ صاحبه، فيأخذ حاجته من الدنانير والدراهم؟ قالوا: لا، قال: فلستم إذن بإخوان))[٢١].

القسم الثالث: التعريف بالإمام الباقر.

هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه وعلى آبائه أفضل التّحيّة

والسّلام) المولود في المدينة المنورة سنة ٥٦ للهجرة[٢٢]، ولقد جمع الحُسنيين من أبويه الحَسَنين، فأبوه ابن سيد الشُّهداء السّبط الأصغر، وأمّه فاطمة ابنة سيّد النُّبلاء السّبط الأكبر[٢٣]، ومثلما جمع الفضل من أبويه جمع الفضل بأنْ عاش في زمن جده وأبيه، ((فعاش عليه السلام مع جده الحسين عليه السلام أربع سنين، ومع أبيه تسعًا وثلاثين سنة، وكانت مدّة إمامته ثماني عشرة سنة. وكان في أيّام إمامته بقيّة ملك الوليد بن عبد الملك، وملك سليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك، وتوفّي عليه السلام في ملكه))[٢٤].

لقبُهُ الباقر، والذي لقّبه بذلك النبيّ المصطفى، وهو لم يأتِ بعد إلى الدنيا[٢٥]، وقد قال ابن منظور: ((التبقّر: التوسّع في العلم والمال، وكان يقال لمحمد بن علي بن الحسين بن علي: الباقر؛ لأنّه بقَر العلم وعرف أصله، واستنبط فرعه وتبقّر في العلم))[٢٦]، وقد نشأ عليه السلام ونشأ العلم معه منذ صغره؛ فقد: ((سأل رجل ابن عمر عن مسألة، فلم يدرِ بما يُجيبه، فقال: اذهبْ إلى ذلك الغلام فاسأله وأعلمني بما يجيبك، وأشارَ به إلى محمد بن علي الباقر، فأتاه وسأله، فأجابه، فرجع إلى ابن عمر فأخبره، فقال ابن عمر: انّهم أهل بيت مفهّمون))[٢٧].

ومثلما كان باقرًا للعلم كان باقرًا للحلم أيضًا، وسنرى حلمه فيما يأتي مع النّصرانيّ والجارية الّتي أودتْ بحياة أحد أبنائه على أنّه لم يكن حُلُمًا فقط، بل كان إكرامًا وتفضّلا وامتنانًا.

بهذا الحلم وبذاك العلم قاد الأمّة، وهو القائل: ((ما شيبَ شيءٌ بشيءٍ أحسنُ من حلم بعلم)) [٢٨]، فعرف كيف يزود الاسرة بمفاهيم التقوى وعرف كيف يقود المجتمع ويوجهه الوجهة الصّحيحة، ففي عصره راج الظُّلم الأمويّ، وصالَ عبدالملك وجال؛ فكان مقدامًا ليس في الشّجاعة والنّخوة، وإنّما كان ((مقدامًا على سفك الدّماء، وكذلك كان عُمّاله: الحَجّاج بالعراق، والمهلّب بن أبي صُفرة بخراسان، وهشام بن إسماعيل وعبد اللّه ابنه بمصر، وموسى بن نصير بالمغرب، ومحمد بن يوسف أخو الحجاج باليمن، ومحمد بن مروان بالجزيرة. وكلٌّ مِن هؤلاء ظلومٌ غشوم جبار))[٢٩].

هذه الظّلامات كانَت أحد أسبابِ كثرة الثّورات، التي ولّدت مزيداً من الدّماء الجارية والأيتام والأرامل، وكلُّ هذا يفتح النّيران على الاسرة الصغيرة والكبيرة (المجتمع)، وقد ثبتَ أنّ ((من الآثارِ النّفسيّة الّتي لا تخفى على العامّة والخاصّة من المتخصّصين لعلم

النّفس والطّبّ النّفسيّ أنّ الحروب تنشر ثقافة الخوف والقلق والفرار ممّا يعطّل عند الأجيال التي تعاصر الحرب كيفيّة التّواصل مع الحياة بشكل جيّد، وقد يمتدّ التّأثير لبقيّة حياتهم فيما بعد))[٣٠]، ولكنّ الأرض لم تخْلُ من صمّام الأمان ولو خليت لقلبتْ، فكان الإمام الباقر، وكانت الهمة الكبرى في سبيل انتشال النّاس من الواقع الاجتماعيّ المتردي، ليرينا عليه السلام عظمة الإمامة والإمام.

ولم يكن عليه السلام باقرًا للعلم وللحلم فقط ولا مصلحًا اجتماعيًّا فحسب، بل كان أيّوب زمانه في صبره؛ فـ ((لقد عاش عليه السلام محنة عداء الأمويّين للعلويّين، والّذي تمثّل في ظاهرة سبّهم لجده الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام على المنابر طيلة ستة عقود))[٣١].

ومثلما كانَ صبّارًا كانَ زاهدًا بكّاءً، فقد ((كتب عبد الملك إلى عامل المدينة أنِ ابعث إليّ محمد بن علي مقيّدًا. فلمّا انتهى الكتاب إلى العامل أجابَ عبدالملك: " ليس كتابي هذا خلافًا عليك يا أمير المؤمنين ولا ردّا لأمرك، ولكنْ رأيتُ أنْ أراجعَكَ في الكتابِ نصيحةً وشفقةً عليك؛ فإنّ الرّجل الّذي أردتْهُ ليس على وجه الأرض اليومَ أعفّ منه ولا أزهدَ ولا أورعَ منه، وأنه ليقرأُ في محرابِه فتجتمع الطّير والسّباع إليه تعجبًا لصوته، وإنّ قراءته لتشبه مزامير آل داود، وأنّه من أعلم النّاس، وأرأفِ الناس، وأشدّ الناس اجتهادًا وعبادة، وكرهت لأمير المؤمنين التّعرض له، فإنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم". فلما ورد الكتاب على عبد الملك بن مروان سرّ بما أنهى إليه الوالي، وعلمَ أنّه نصحهُ))[٣٢]، هكذا يقولُ عنه ممّن ليسوا على خطّه ! وأكرم بفضل أعجبَ الخُصَماء.

هذه المقوّمات كانتْ سببًا ندركُ من ورائه لماذا طلبَ الرّسول تبليغَ تحياتِه إلى ذلك الإمام الرّائع بوساطة جابر الأنصاريّ، وقد نقل ((أنّ جابر بن عبد الله الأنصاريّ كان يقعد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ينادي: يا باقر العلم، يا باقر العلم، فكان أهل المدينة يقولون: جابر يهجر! وكان يقول: والله ما أهجرُ ولكنّي سمعتُ رسول الله يقولُ: انّك ستدرك رجلًا من أهلِ بيتي اسمه اسمي وشمائله شمائلي يبقر العلم بقرًا؛ فذاك الذي دعاني إلى ما أقول. قال: فلقيَ يوما كتّابا[٣٣] فيه الباقر عليه السلام، فقال: يا غلام اقبل، فأقبلَ، ثمّ قال له: أدبرْ، فأدبرَ، فقال: شمائلُ رسول الله والذي نفس جابر بيده، يا غلام ما اسمك؟ قال: اسمي محمّد، قال: ابنُ مَن؟ قال: ابن علي بن الحسين، فقال: يا بُنيّ فدتْكَ نفسي فإذًا

أنت الباقر؟ قال: نعم...، فأقبل إليه يقبِّلُ رأسه وقال: بأبي أنت وأمي أبوك رسول الله يقرؤك السّلام، قال: يا جابر على رسول الله ما قامت السّماوات والأرض وعليك السلام يا جابر بما بلغت السلام))[٣٤].

يقول الشاعر المغربي[٣٥]:

لــولا انقطــاعُ الــوحيِ بعــدَ محمــدٍ ... قُلْنــا محمــدٌ مــن أبيــهِ بــديلُ

هــو مثلــهُ في الفضــلِ إلّــا أنّــهُ ... لم يأتِــهِ برســالةٍ جبريــلُ

هذه المكانة العجيبة جعلته في بادئ الأمر يحيى في مأمن من بني أميّة؛ لأنهم يخشون التعرض له من القال والقيل، وهذه المكانة نفسها جعلته معرَّضًا لحقدهم الدّائم وحسدهم العارم، وهو القائل عليه السلام في تفسير قوله ((تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء: ٥٤) قال: نحن المحسودون)) [٣٦]، فكان ذكره العطر يؤرق الظالمين في أسرّتهم إلى أنْ كادوا به عليه السلام، فـ((سمّه إبراهيم بن الوليد بن يزيد، وقبره ببقيع الغرقد)) [٣٧]، وكان شهادته سنة ١١٤ للهجرة بعد أنْ قضى سبعًا وخمسين عامًا[٣٨]، لقد مضى طلبًا للإصلاح في أمّة رسول الله صلى الله عليه وآله. فسلام عليه يوم وُلِد، ويوم يموت، ويوم يبعث حيًّا.

المبحث الأول

العلاقات الانسانيّة في الأسرة الصّغيرة

الأسرة تتكون من أفراد يكثر وجودهم في مكان واحد، اسمه البيت مما يولد بينهم احتكاكات تستوجب التعاون بينهم والتآلف، وهذا يعني أنّ بهم حاجة ماسّة الى العلاقات الانسانيّة السّلمية، والحاجة الى نشوء هذه العلاقات يأتي من يوم اقامة العشّ الزوجيّ، بل يمكن القول إنّ تأخيره مضر بصورة كبيرة في اقامة هذه العلاقات في المجتمع.

ـ العلاقات الانسانية في طلب التزويج

معَ مرور عجلة التّاريخ نجد هناك عُزوفًا من الزّواج عند كثيرٍ من النّاس، وهو في هذا يعزف عن حقيقة الإنسانيّة، هذا العزوف يبدأ عند بعضٍ أولًا بتأخير الزّواج، فتُعجبُه حالة العزوبة، ثم يمضي بها الى آخر حياته؛ ليجد نفسه في الاخر وحيدًا ينتظر استعطاف الاخرين، لقد كان على هذا الشخص أن يبني خلية من التعاطف والتوادّ لكنه بسبب تخاذله

وتكاسله جعل نفسه في آخر حياته عرضة للمَسكنة وكان بإمكانه أن يُنجي إحدى تلك النساء العوانس من العنوسة، وقد أبانَ الامام الباقر قاعدة تدفع على النجاح، وهي التبكير في فعل الخير، فقال عليه السلام: ((اعلم أنّ أول الوقت أبداً أفضل، فعجلْ بالخيرِ ما استطعتَ))[٣٩]، نعم فكثيراً ما كانَ التّأخير سبباً للتّواني والتّراخي عن انجاز الخير أو إتمامه، وهذا أوّل الاسباب لزيادة العنوسة. وقد زاد هذا الأمر في الوقت المعاصر تزايداً كبيراً، وتسبب في مشكلات كثيرة،؛ فحصول ((الزواج بشكل واسع ولكل شباب المجتمع في أول سنين البلوغ... يؤدي الى سد باب نصف الفساد والانحرافات في المجتمع؛ لأن كثيرا من الجنايات والجرائم وشرارة الاعمال المنافية للعفة والفسوق منشؤها الجانب الجنسي واشباع الغريزة))[٤٠]، وقد كان الإمام الباقر عليه السلام مؤكدا ضرورة التزويج، فيلقانا قوله: ((لهْوُ المُؤمن في ثلاثة أشياء: التمتّع بالنّساء ومفاكهة الأخوان والصّلاة بالليل))[٤١]، وهذا الحديث حتّمَ على المؤمن اللهو الحلال، والجميل أنّه قرَنَ النّساء والاخوان بصلاة الليل، وهذا الاقتران للتّعظيم، شأنُهُ شأنُ القرآن حين يقرنُ الوالدين بعبادة الرّب[٤٢]، أو حين يقرنُ النّبيّ الصّلاة بالنّساء[٤٣]، هذا التّعظيم للمرأة لم نجده عند من ينتقدون الإسلام، حتى أن أكثرهم راح يستغلها لإنضاج حيوانيّتهِ أو لترويج تجارته[٤٤].

إنّ الحديث السّالف كانَ من مصاديق تفسير النّصّ القرآنيّ: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ (القصص: ٧٧)، ومن هنا نفهمُ لماذا شدَّد الامام النّكير على تلكَ المرأة الّتي عزفتْ عن الزواج لأجل التبتل، فقد جاء أنّ ((امرأة سألت أبا جعفر عليه السلام، فقالت أصلحكَ اللهُ إنّي مُتبتّلة. فقال لها: وما التبتّل عندك: قالتْ: لا أريدُ التّزويج أبداً. قال: ولمَ؟ قالتْ: ألتمسُ في ذلك الفضلَ فقال: انصرفي! فلو كان في ذلك فضلٌ لكانت فاطمة عليها السلام أحقّ به منك، انّه ليس أحد يسبقُها إلى الفضلِ))[٤٥]، نعم إذا كان لنا في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ، وفاطمةُ بضعتُهُ، ففيها (عليها وعلى أبيها السلام) خير أسوة للنساء والتاريخ يحدثنا عن زواجها المبكر، فيجدر بالنّساء أنْ يقتدينَ بها إنْ صحّت الفرصة المناسبة، وبعد هذا فليس من الانصاف العزوف عن الزواج بأية حجة[٤٦] حتّى لو كان المقصد التّعبّد والتخشّع لله، فاللهُ تَعالى لم يكتبْ على العبد أنْ يتعبَّدَ فقط، بل عليه أنْ يبنيَ الحياةَ على الأرض، والغَريب أنّنا لم نجد الإمام في أحاديثهِ يزجرُ السّائل مثلما نجدهُ في هذا الحديث، وما ذلك إلا لبشاعة الفعل (ترك التزويج)، فمن جهة أن الانسان كائن اجتماعي، ولا يمكن له ان يتنحى من

ذلك لغير علة؛ إذ ((يعتقد كثير من العلماء والفلاسفة أن الانسان مخلوق مدنيّ بطبعه أو اجتماعي بالفطرة، وعلى هذا فهو يحتاج من يلجأ إليه، والى رفيق ومحبوب أيضًا يرافقه في مسيرة حياته ويشاركه همومه)) [٤٧] ومن جهة أخرى أنه مرتبط بغريزة وهذه تبدأ بوقت مبكر، ولكنها تنضج بنضوجه، ((وحينما تصل الى درجة من النضج تحتاج الى اشباع وارضاء، وإذا ترك الشّخص اشباعها وانصرف عن الحاحها سوف يتعرض للاضطرابات ولا مفرّ من أنْ يدفع ثمن ذلك من صحته)) [٤٨].

وفي الحديث الامامي نلمح أنّ للزواج فضلًا كبيرًا، فهو أفضل من انْ تترك المراة الزواج لأجل العبادة، فهذا مع أنّه جميل الا انه قبيح جدّا اذا كان على حساب الزواج الى درجة انه يُزجر عليه العبد، والى درجة تغدو العبادة قبيحة أيضًا، انّ الاماني المرجوة وفق هذا أنْ يشيع تراث الامام الباقر لما فيه من علاج لكثير من قضايا المجتمع العالقة، ((ففي مصر كشفت دراسة رسميّة أعدّها الجهاز المركزي المصري للتعبئة العامة والاحصاء ارتفاع نسبة غير المتزوجين بين الشباب المصري الى ٣٧٪ وأن عدد الشبان والشابات العوانس الذين تجاوزوا الخامسة والثلاثين من دون زواج وصل الى أكثر من ٩ ملايين نسمة من تعداد السكان البالغ ٦٤ مليون نسمة بينهم ٣ ملايين و٧٧٣ فتاة وقرابة ٦ ملايين شاب غير متزوج)) [٤٩]، وهذه الدراسة قبل خمس سنوات أو أكثر، وأرى ان النسبة الان أكثر بكثير بحكم ما نراه بأعيننا من تعطيل لسنة الزواج.

وينقل الامام عليه السلام رواية عن أبيه تحثّ على التزويج وعلى فضله، وهي قوله: ((جاء رجل إلى أبي فقال له: هل لك زوجة؟ قال: لا. قال: لا أحب أنّ لي الدنيا وما فيها، وأنّي أبيت ليلة ليس لي زوجة. قال: ثم قال: انّ ركعتين يصليهما رجل متزوج أفضل من رجل يقوم ليله ويصوم نهاره أعزب. ثم أعطاه أبي سبعة دنانير قال: تزوج بهذه)) [٥٠]، يمكن القول ان الزواج ـ فضلا عن فوائده الاخرى ـ هو طريق مختصر للجنة لمن احسن في سيرته فركعتان لمتزوج تعادل عبادة ليلة لأعزب، فأي أهمية هذه؟! وأي مكانة جعلت الزواج بهذه المنزلة من التقديس؟!

وحتى السعادة التي يراها الشخص في عزوفه عن الزواج انما هي محض هباء، فأينَ هي من أنْ يتزوج، وينجب ابنًا يكون سندًا له في شيخوخته، يقول الامام الباقر عليه السلام: ((من

سعادةِ الرّجل أنْ يكون له الولد يُعرف فيه شبهه: خَلْقُهُ، وخَلْقُهُ، وشمائلُهُ))[٥١] إنّ الرجل، وهو ينظر الى شبيهه الصّغير يعيش حالة الأنس والارتياح، ويصبح يترقّب حركات ابنه العزيز، فيعيش نشوة السّعادة.

ويعرف الخوف من الزواج بفوبيا الزواج[٥٢]، وبعضهم يعزو الخوف الى الفقر[٥٣]، ولكن هذا مرفوض فعليه أنْ يجدَّ في حل مشكلة فقرِه لا أنْ يزيدها مشكلة أخرى، عليه أنْ يسعى لطلب الرّزق والزواج أيضًا سائلًا الله التّسهيل والتّيسير، يقول عليه السلام: ((مَنْ هذا الذي سألَ الله فلم يُعطه؟ أو توكّلَ عليه فلم يكفه؟ أو وثِقَ به فلم ينجه؟!))[٥٤]، هذا الاستفهام الاستنكاري المشوب بالاستبعاد نَبعَ من قلب عرَفَ ربّه، ووجد منه ما ابتغاه، لقد هزّ الامام في نفوسنا الهمة والعزيمة لأجل طرْق باب الله، ففي ذا فوز وكفاية ومنجاة.

على أنّ الأمر في تحقيق الزّواج لا يقع على الفرد الراغب فيه، بل لا بد من تسهيل المهمة له من قبل أهل المرأة، وقد قال الامام الباقر عليه السلام حين سئل عن النّكاح: ((من خطب إليكم فرضيتم دينه وأمانته فزوجوه ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (الأنفال: ٧٣))[٥٥]، ما أجمل عظمة الانسانية التي نادى بها الامام هنا؟! فالزواج سُنّة مؤكدة، واداؤها يتحمله الجميع، ولا سيّما مع ذي الدين الأمين بصرف النظر عن مكانته الاجتماعيّة وعن امكانيته الماديّة، انه اذا كان متدينًا أمينًا أغناه هذا عن كل شيء وأهّله لأن يكون زوجًا، وسيكون قادرًا على تهيئة المعيشة لأسرته، وسنجد فيما يأتي أنّ الدين يحثّ على طلب المال لأجل إعالة العيال، وقد ختم عليه السلام بالآية القرآنيّة التي تحذّر من الوقوف في طريق الزواج ملتمسًا دلالتها الرُوحيّة في تدعيم الزّواج وإقامته، وما ذلك إلّا لأنّ أكثر الناس يميلون في التزويج الى ذي المال والمناصب ونحو ذلك، لكن الحقيقة أنّ الثراء لا يبني سعادة كالتي يبنيها الدين القويم؛ ولربما نجد قصرًا فاخرًا يغلي في قلوب أهله الحقد والتّباغض والشّحناء على حين نتفاجأ بكوخ صغير تغمره المودة والرّحمة.

ـ مقوّمات الزواج الناجح وأثرها في نشر العلاقات الإنسانيّة.

بعد انتهاء البحث من الحلقة الاولى وكانت باتمام الزواج وإقامته وصلَ بنا الامر الى كيفية تعزيزه وجعله راسخًا متماسكًا منعّمًا بالانسانية المُثلى، فالامام الباقر لم يحثّ على الزواج فحسب بل رسم خارطة الطريق لأدائه ولإنجاحه وجعله مثالًا للعلاقات الانسانيّة

الزّاكية، وأوّل تلك المقوّمات:

ـ التعلق بالله

إنّ التعلُّق بالله من اوليّات التفكير عند اهل البيت عليهم السلام؛ إذ سنرى انّه هو الّذي يجعل الإنسان إنسانًا، وهو عنوان الحب؛ ففيه يقول الإمام الباقر عليه السلام: ((وعليكم بالحب في الله والتودّد والموازرة على العمل الصالح))[٥٦]، إنّه يقوّي العبد على فعل الخيرات وينمّي لديه الطّاقات الإنسانيّة، فيكون لطيفًا مع مَنْ حوله، ومن هنا كان التعلق به تعالى ((من أقوى الرّوابط في الحياة الزوجيّة؛ لأنّ من وصَلَ الى العلة فقد أمسك بزمام المعلول عندئذ تصبح النّتيجة أمرًا قهريًا، فالذي يستشعر حقيقة الحبِّ الإلهيّ في فؤاده.... يعظم حبّه للخلق؛ لأنّهم عيالُ الله تعالى ومن شؤونه، ويُحسن التّعامل مع زوجته ورعايتها وإنْ واجهته يومًا بالنّكران وبما لا يناسب تعامله معها فإنّه لا يتحمّل ويصبر فقط، بل كم يفرحُ بأنّه خدَمَ عيالَ من يُحبُّهُ وأصابه الأذى لوجهه الكريم))[٥٧]، فينبعث نشيطًا، بل ربّما أثّر في زوجته في الأغلب أو في ذريته فيميلون للصّواب؛ لأنّهم رأوا الحلم منه بالرغم من صعوبة الموقف، فيتأثرون بأخلاقه ويتحسّنون ويتعلمون منه الحلم والصبر في قادم أيامهم فيكونون أناسا سويين متميزين في مستقبلهم.

نعم لا بد للزوج من هكذا تصرف بانتهاج الحلم والصبر؛ لأنّ الشيطان يحوم على الفرد ويسعى دومًا لخذلانه؛ فلا يصحّ من العبد في حينها إلا أنْ يتمسك بالله ويتكلّ عليه، وعلى المرأة أن تشاطر زوجها في ذلك؛ لأنّها اذا شاركت الرجل بالخلق الحسن النّابع من التعلّق بالله تكون قد وافقت الرجل في سبيل النّهوض بأسرة رائعة، بسبب وحدة الهدف والغاية.

ولو فتشنا في كثير من مشكلاتنا الراهنة خصوصًا المشكلات الزوجيّة التي جرّت الى الطّلاق نجد أنّها مُشكلات عقديّة، أي كانت بسبب الضّعف الايمانيّ عند الطرفين أو عند أحدهما.

ـ ترك الخصام

الخصومة هي الشّحناء والنّزاع، وأبرز أدواتها الجدال، وهو يعود بالضّرر على صاحبه، وقد بانَ في الدراسات ((أنّ كل تسع مناظرات من أصل عشرة تنتهي وكل طرف مقتنع بجزم أنّه على حقّ، فأنت لن تكسب أي جدال؛ لذا فأفضل طريقة لكسب المجادلة هي تجنّبها؛ لأنك إنْ خسرتها تخسرها، وإنْ ربحتها ستخسرها؛ لأنك ستشعر بالرّضى، ولكن الطّرف الآخر لقد

جرحت كبرياؤه وجعلته يشعر بالنقص وسيحتقر فوزك وبذلك تكون قد خسرته))[٥٨]، إن إتعاب الاعصاب وجرح المشاعر يفتكان بالمودة، فتكون الخصومة هي المتسيدة، ولقد حذّرنا الامام الباقر منها بشدة حين قال: ((إيّاكم والخُصومة فإنّها تُفسد القلب وتُورث النّفاق))[٥٩]، لقد كثر استعمال التركيب (إياكم) عند اهل البيت عمومًا وعند الامام الباقر خصوصًا، وهنا التحذير بسبب النتيجة المتبلورة فهي الضّياع بعينه، فالقلب الفاسد لا يُمكنهُ أنْ يعرفَ السّعادة ولا التوفيق في الحياة، بل إنْ جهَد نفسه فلن يحصل على أكثر من الخسران والدمار، وتضيق به الحياة ذرعًا في كثير من الأحايين، فاذا ما رافقته وراثة النّفاق فهذا ظلام على ظلام، إنّه تكدير العشّ الأسريّ وربّما تمزيقه، ولذا ولأجل سلامة رواق العش الزوجي يجدر من البداية التخلص من المكدرات والمنغصات التخلص من الخصومة وبناتها: الجدال والاستهزال والنزاع... وأن يحل محلها الحوار الهادف؛ على ((أن الحوار الهادف... لمناقشة ما يستجد من قضايا الأسرة لا بد أنْ يكون منطقيًّا والغرض منه الوصول الى النتائج، وليس لمجرد الجدل واثبات الغلبة على الطرف الآخر))[٦٠]، حتى إذا كان ثمة خطأ، فلتصحيحه تكون الاستعانة بادوات جديدة غير التي هي سائدة من مثل الخصام والشجار والاستهزاء، فما هذا الا كرَمْيِ الحطب والزّيت على النّار، ولعل الاداة المناسبة تكون بتقوية العلاقة الزوجية، ثم زيادة الوئام، ثم استغلال ذلك الوئام لأجل التقرّب وحل النزاع، فعالم الحب ناجح بنسبة كبيرة بالتأثير في الاخر مقارنة بعالم الخصام، ومن هنا سنرى أنّ الامام أسّس لعالم الحب وعززه بدُرَرَ كلامه فيما مضى وفيما سيأتي.

العفاف

العفاف: هو الكفّ عمّا لا يحلّ[٦١]، وهو متأتٍّ من المعنى اللغوي (عفّ)؛ ومعناه: ترك القبيح[٦٢]. وهو باب واسع، من يلج به يجد نفسه في حديقة من الأخلاق المُزهرة، يقول النبي المصطفى صلى الله عليه وآله: ((وأمّا العفاف فيتشعب منه الرّضا والاستكانة والحظ والراحة والتفقد والخشوع والتذكر والتفكر والجود والسخاء))[٦٣]، وهذه لُبُّ العلاقات الإنسانية السّامية، لذا كانت سمَة العفّة عند الزّوجين رابطًا وثيقًا بينهما، فمن دون العفّة تتسرب أغبرة الحرام في الجوّ الأسريّ وتعكّرُ صفاؤه، وتتأزّمُ العلاقات بين الزّوجين، وينعكس هذا على الأولاد، فيكون التوتّر والاضطراب، ثم الانحراف والانحلال، وقد كان الامام الباقر شديد الحرص على هذه السّمة لمكانتها البارزة بل قرنها بالجهاد، وقد قال عليه السلام: ((أيّ جهادٍ أفضل من عفة

بطنٍ وفرجٍ))[٦٤]، انّه جهاد لأنّه ضدّ الشيطان، فالشّيطان بعد أنْ يرى العبد يتهيأ لإقامة أسرة اسلامية يتوجّه إليه لينقض ذلك البنيان، فيحاول ـ مثلًا ـ أنْ يصطاد الرجل بالنّظر الى النساء الأخريات ويشجّعه على الرذيلة، لكنه اذا جُوبه بسلاح عفة ذلك الشخص فانّه ينهار ويقع في التّهلكة، انّ الامام عبّر عن العفة بانها خير جهاد؛ لأنّنا في الحقيقة دائمًا في حرب مع الشّيطان، والعفّة أبرز عوامل الانتصار عليه.

ولا يقتصر الضّياع بضياع العفة على الرجل فقط، بل ستعود العاقبة السّيئة عليه، ويصاب ذلك بالعقاب الدنيوي قبل الأخرويّ، وهذا ما حذر منه الامام الباقر عليه السلام، وهو يروي ما جرى في عهد جده المصطفى صلى الله عليه وآله، والرّواية أنّه قال: ((استقبل شاب من الأنصار امرأة بالمدينة، وكان النّساء يقنعن خلف آذانهن، فنظر إليها وهي مُقبلة، فلمّا جازت نظر إليها ودخل زقاقَ (... قد سمّاه يعني فلان)، فجعل ينظر خلفها واعترض وجهه عظم في الحائط أو زجاجة فشقّ وجهه، فلمّا مضت المرأة نظر فإذا الدماء تسيل على ثوبه وصدره، فقال: والله لآتين رسول الله صلى الله عليه وآله ولأخبرنّه، قال: فأتاه فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: ما هذا فأخبره، مهبط جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور: ٣٠)))[٦٥]، وكلمة (أزكى) كلمة عامّة تشمل كلّ ما من شأنه الزّكاة، أي النّماء والطهارة والنقاء سواء أكان هذا الامر على مستوى الدّنيا أو الاخرة.

إنّ النظر المحرم هو كمية من الفايروسات الضّارّة بالرّوح، وبمقدار ما يزيد الانسان من النظر يكون قد زاد مرضًا بمفارقته شيئًا من تلك التزكية، فيعقبه همٌّ وغمٌّ، ((فالعين ليست جهازًا تلتقط الصُّور فحسب... إنّما هناك تفاعلات في النّفس وراء هذه الصُّور، والإكثار من النّظر الحرام يغيِّرُ تركيبة الإنسان الذهنيّة والنفسيّة فينعكس على سُلوكه، بحيث يصبح الإنسان همُّه الشّهوات، وينظر الى الأمور من حوله بما يتلاءم مع ذلك الهمّ، ويزهد في حلاله التي لا تكون بالمستوى الذي يراه، فهذا النظر الذي يتهاون في ارتكابه كم يساهم في تلويث في باطنه؟!))[٦٦].

والانسان اذا هدر عفّته بالزّنا انّما هدر تأييد الله تعالى له؛ فقد جاء في تفسير الامام الباقر ((لكلام الرّسول صلى الله عليه وآله حيث قال: ((إذا زنى الرجل فارقه روح الإيمان)) قال عليه السلام: ((هذه روح الإيمان التي ذكرها الله في كتابه حيث يقول: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾

(المجادلة: ٢٢))[٦٧]، وحياة بلا روح للايمان تعني الموت بعينه، ومن هنا ندرك أنّ صاحب الشهوات لا يجني منها إلا التّعاسة والويلات، واذا كان هذا الوقت هو وقت الشهوات ورواجها بين الشباب بلا رادع جعلنا هذا ندرك السبب وراء ضجر كثير منهم ووقوعه بأمراض نفسيّة وعواقب خطيرة. وقد رأينا معاهد الغربيّين النفسيّة مشلولة أمام ذلك الكم الهائل من النتائج المتأتية من التدنّي في الأخلاق، فهذه الباحثة المتمرسة مارتا هاريس[٦٨] تصرخ بأعلى صوتها ((انظر إلى الزّيادة المنذرة بالخطر في الأمراض الزهريّة المنتشرة لدى المراهقين نتيجة الانغماس في الجنس والتزايد في الحمل غير الشرعي))[٦٩]. و((يذكر أنّ آخر احصاءات الأمم المتحدة يفيد أنّ خمسة وعشرين مليون انسان قد لقوا حتفهم بسبب مرض الإيدز الذي يتسبب بشكل أساسيّ عن الإباحيّة الجنسيّة وأنّ سبعة وستين مليونًا سيلقون حتفهم خلال العقدين القادمين))[٧٠]، فضلًا عن انتشار الموت المفاجئ الذي ربما يفسره ما روي عن الامام الباقر عليه السلام: ((وجدنا في كتاب علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا كثر الزنا كثر موت الفجأة))[٧١].

خلق الجوّ الرّومانسيّ.

رأينا فيما سبق ما يفعله العفاف من أثر في قيمومة الفرد والاسرة والمجتمع، ولأجل اقامته بصورة صحيحة وقويمة يجدر تقوية العلاقة بين الرجل وزوجته، فهذا سبيل الحلال وهو المقصود، وهو الذي عمَلَ أهل البيت على ديمومته، فلم يكونوا إلّا مثال الإسلام الصّحيح الذي نهى من الرّهبانية المبتدعة، بل أباح للناس الطّيبات وحثّ عليها، ولا يتوقف الامر على ذا بل لا بد من التّزين، ولا تقتصر الزينة على الملبس ونحوه، بل حتى على حجرة العرس، وقد روي عن الحكم بن عتيبة قال: ((دخلت على أبي جعفر عليه السلام، وهو في بيت منجّد، وعليه قميص رطب وملحفة مصبوغة قد أثّر الصبغ على عاتقه، فجعلتُ أنظرُ الى البيت وأنظر الى هيئته، فقال: يا حكيم ما تقول في هذا؟ فقلت: ما عسيت أنْ أقول وأنا أراه عليك؟! وأمّا عندنا فإنما يفعله الشاب المُرهَّق، فقال لي: يا حكيم (من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده)، فأمّا هذا البيت الذي ترى فهو بيت المرأة، وأنا قريب العهد بالعرس وبيتي البيت الذي تعرف))[٧٢]، وأرى أنّ حكيمًا لم يكن حكيمًا، بل كان سيئًا في وصفه السّيئ (المرهق)، فقد جاء ((والمُرَهَّقُ كمُعَظَّم: هو المَوْصُوفُ بالرَّهَقِ مُحَرَّكَةً، وهو الجَهْلُ والخِفَّةُ في العَقْل))[٧٣]، اذا كان هذا الامر مع مَنْ يعرف قدر الامام، وقد اعتاد الورود

على الامام بدليل انّه كان عارفًا ببيت الامام كما يتّضح من ذيل النّص (وبيتي البيت الذي تعرف) فما بالك بمن هم لا يعرفون بقدر الامام ولم يرزقوا بزياراته؟!

نعم كثيرًا ما يُفهم الدّين خطأ، ويحكم عليه جرّاء خلفيات معرفية هزيلة، وقد صحّح الامام هنا ذلك التوهّم، فأبانَ ضرورة التجمّل للمرأة على مستوى الفرد والمأوى، فهذا طريق للوئام والتقارب، بل أراد الامام تعريف النّاس بحقيقة الاسلام لا كما زعمه النّصارى أو تبنّاه الصّوفيون الذين يُعْرِضونَ ويترهّبونَ ويَذرونَ النِّساء(٧٤).

ونجد رواية أخرى مقاربة لهذه، وربما تكون قد تكررت مع آخرين بحكم العزم الاماميّ في توثيق العلاقة الزوجية وتوطيد أواصر المحبة فيها، فـ ((عن الحسن بن الزيات قال كان يجلس إليّ رجل من أهل البصرة فلم أزل به حتى دخَل في هذا الأمر، قال: وكنت أصفُ له أبا جعفر عليه السلام، فخرجنا إلى مكة فلما قضينا النُّسُك أخذنا الى المدينة فاستأذنّا على ابي جعفر، فأذِنَ لنا، فدخلْنا عليه في بيت منجد وعليه ملحفة ورديّة، وقد اختضب واكتحل وحف لحيته فجعل صاحبي ينظر اليه، وينظر الى البيت، ويعرض عميه بقلبه، فلما قمنا قال: يا حسن، إذا كان الغد إنْ شاء الله فعد أنت وصاحبك إليّ، فلمّا كان من الغد قلتُ لصاحبي: اذهبْ بنا الى ابي جعفر عليه السلام فقال: اذهب ودعني، قلت: سبّحان الله أليس قد قال (غدا) عُدْ انت وصاحبك، قال: اذهب انت ودعني. فوالله ما زلت به حتى مضيت به، فدخلنا عليه فإذا هو في بيت ليس فيه الا حصا، فبرز وعليه قميص غليظ وهو شعث، فمال علينا فقال: دخلتم علي أمس في البيت الذي رأيتم وهو بيت المرأة، وليس هو بيتي، وكان أمس يومها، فتزينت لي وكان عليّ أن أتزين كما تزينت لي، وهذا بيتي فلا يعرض في قلبك يا اخا البصرة، فقال (جعلت فداك) قد كان عرَضَ فأمّا الآن فقد اذهبه الله))(٧٥).

ويؤكّد الامام ضرورة التّزيّن للرجل مثلما تتزين المرأة بأسلوب ينمّ عن معرفة واسعة بمتطلبات المرأة والرجل معًا، يقول عليه السلام: ((النّساء يحببنَ أنْ يريْنَ الرّجل في مثل ما يُحبُّ الرّجل أنْ يرى فيه النّساء من الزّينة))(٧٦)، انّ التّزين والتّحلّي للآخر يعبّر عن الأنس المتبادل والألفة المُشتركة بين الطّرفين، وكلام الامام على لسان النساء وتأكيده ما تصبو اليه المرأة دليل على أنه إمام حق بدليل معرفته بمتطلبات أطياف البشر، وفيه أيضًا لفت انتباه الرجال الى شيء يغفلون عنه واشارة الى ان الاسلام دين حضاريّ وليس دينًا لكبت

المتطلّبات البشرية، إنّه جاء ليشذبها بصورة وسطيّة؛ كي تتحرك عجلة الحياة فيه باتزان فلا يُطغي بعضها على بعضها الآخر فتكون عرجاء.

ـ مـقومات الأسرة النـاجحة وأثرها في نشر العلاقات الإنسانيّة

أبانَ الامام في كلامه طائفة من الأمور التي تبني أسرة طيّبة تتّسم بالعلاقات الانسانيّة النّاجحة ونحن بحاجة الى هذه الأمور خصوصًا بعد أنِ انحرفت الأُسَر عن النّهج السّليم، فاليوم ((يطبع الاسرة الحديثة قصور عظيم، لقد تراجعت سلطة الآباء اليوم على الأبناء بشكل لا مثيل له في التاريخ، ولم يعد مسموحًا للأب أنْ يمارس أدواره التّاريخية في تحديد شخصيّة أبنائه واختيار مستقبلهم كما حلّ التفكّك والأنانيّة ولا مبالاة الوالدين والانشغال المُطلق بالمجال المهني على حساب الروابط العائلية))[٧٧]، وكل هذا يدعو الى البحث في السّيرة الذّهبيّة للعترة الطّاهرة أمَلًا بتصحيح المسار.

ـ واجبات الأب اتجاه الأسرة

الأب هو القوّام على الاسرة، وهو القائد الذي يأخذ بها إلى صوب الأمان على مستوى الدنيا والآخرة، فإذا ما أخطأ في قيادة سفينة الحياة عرّضَ نفسه للمساءلة والانتقاد، وعرّض أسرته للضّياع والانحراف، على انّه يراعي في سلطته سلطة الاخلاق والمودّة لا سلطة التسلّط ومصادرة الحقوق، فهو أبٌ لا ضابط جيش متشدّد، وقد أبان الامام الباقر جَوهرَ التعامل الصحيح بقوله: ((البشر الحسن وطلاقة الوجه مكسبةٌ للمحبّة وقربةٌ من الله. وعبوسُ الوجهِ وسوءُ البشر مَكسبة للمقت وبُعد من الله))[٧٨]؛ فالتبسّم والملاقاة بالبشر الحسن مع المسارّة كلّها وسائل تحابب، إنها الباب الأوسع لأسرة السعادة.

وليس البِشْر الحسن فقط، بل أداء التّحية على وجهها لِمَا في ذلك من فضيلة في بثّ المودّة، وقد قال عليه السلام: ((إنّ الله يحبُّ إفشاء السّلام))[٧٩]، فالسّلام الذي هو تمنّي السّلامة للمسلَّم عليه من الوسائل التي يتمخّض عنها التوادّ والتآنس، وثقافة السّلام إذا تفشّت عملتْ على تقويةِ العلاقات الاجتماعيّة الحميمة ورسّختها، ولا شك أنّ الله يكتب السلامة للأسرة المُتسالمة فيما بينها، والمسؤول الاول عن تعليم الاسرة فنّ السلام هو الأب، فالاسرة تتقمص فعاله بالتطبُّع.

ويلحق ذلك الخلق الحسن فهو يدعو إلى التّسامح والوئام والإنصاف، فلا ظالمَ ولا

مظلومَ ولا أنانيّة ولا حسدَ ولا استهجانَ...، وقد أكّدَ الإمامُ الباقر عليه السلام ذلك بقوله: ((بسعة الخلقِ تطيبُ المعيشةُ))[٨٠]، فلا طيبةَ للعيشِ من دونِ خلق واسع حسن يسعُ الآخرينَ، فكانَ هو الطريقَ الأمثلَ لمن رفعَ شعارَ الاسرة المتوادّة، وأراد أنْ يكون قائدًا ناجحًا.

وهو في كل ذلك يجد ويجتهد لأجل تسديد احتياجات أسرته؛ إذ تتوالى أحاديث الامام في الحثّ على العمل والاجتهاد فيه، فطلب الرّزق أمرٌ مهمٌّ لكفاية العيال، بل انّ الامام ليمقتُ مَن ينتهج القعود عن طلب الرزق بقوله عليه السلام: ((إنّي لأجدُني أمقتُ الرّجُل يتعذّرُ عليه المكاسبُ فيستلقي على قفاه، ويقولُ: (اللّهمّ ارزقُني)، ويدع أنْ ينتشر في الأرض ويلتمس من فضل اللّه، والذرةُ (أيّ النّملُ) تخرُجُ من حجرها تلتمسُ الرّزق))[٨١]، إنّ الله رزّاق لكن الرزق يكون لمن اجتهد في طلبه وسعى لأجله، بل ان الركون للدعة والراحة مدعاة لخسارة الآخرة كخسارة الدنيا، وهذا ما عبّر عنه عليه السلام في بعض أقواله: ((إنّي لأبغض الرجل أنْ يكون كسلاناً عن أمر دنياه، ومن كسل عن أمر دنياه فهو عن أمر آخرته أكسل))[٨٢]، هذا الحديث هو في الحقيقة تنمية للاقتصاد ودعوة الى عدم ترك الدنيا؛ لأنّه ثمّة علاقة بين الدنيا والاخرة، بل انّ الثانية مبتناة على الاولى ومتوقفة عليها؛ إذ نقرأ في حديث عن الإمام الباقر عليه السلام في هذا الصدد: ((نِعْمَ العونُ الدنيا على طلب الآخرة))[٨٣].

إن الاسرة التي تنال من قائدها حوائجها ومتطلباتها تكون ادعى للامتثال لأوامره؛ لذا على الاب أنْ لا يشحّ على أسرته، فهذا من الموبقات التي أوجزها الامام عليه السلام بمقولته: ((أما الثلاث الموبقات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه))[٨٤].

وربما يكون الانسان مصداقًا للنص القراني: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ (فاطر: ٨)، فيقوم مثلًا بالانفاق، وينسى ابناءه، وهذا خطأ كسابقه، بل عليه أنْ يسعى إليهم أولًا، وفي هذا الجانب ينقل الامام: ((إن الله يقول: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام: ١٤١)، قال كان فلان الأنصاري ـ سماه ـ وكان له حرث، وكان إذا جذه تصدق به، وبقيَ هو وعياله بغير شيء، فجعل الله ذلك سرفًا))[٨٥] ان ترك الابناء من دون استيفاء متطلباتهم يعد مظلمة في حقهم خصوصًا اذا كان هذا الشخص قادرًا على ذلك.

ومثلما يتكفل الرجل بالاعالة يتكفل بالتربية الاسلامية الحقّة، فتكون نصب عينه في

رعاية الابناء، يبدؤها بأن تكون التسمية مقبولة كون هذا من مناهج التّربية الصّحيحة، وقد شاع في الآونة الأخيرة مسمّيات غريبة ولا سيما الامر في تسمية البنات، فنجدهم يسمّون بـ (ريهام، غَزَل، هند، ميس، ديانا، قمر، ليليان) أو مسمّيات تتعارض مع الذوق الأدبيّ على أنّ استعمال الاسماء الانسانيّة الجميلة أمر محثوث عليه، ولقد كان للنبيّ المصطفى وآله عليهم السلام فلسفة مع التّسمية؛ وقد روى الامام الباقر بأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان: ((يغير الأسماء القبيحة في الرجال والبلدان))[٨٦]، ولا يخفى ان الاسم صديق الشّخص الدّائم، ولا شكّ انّ هذا الاسم يحمل معنى معينًا او مذكّرًا بشخص ما، اي انه يضمّ معنى مركزيًّا، وهذا المعنى بتردده على صاحب الاسم يعطيه حافزًا للامتثال لذلك المعنى، فتكون التسمية احدى ادوات التربية، ويمكنك ان تتلمس الفروق بين: (محمد، وعلي، وسلمان، وعمار...) من جهة و(حرب، ومعاوية، ويزيد) من جهة اخرى، ان مسمى الشخص لا يؤثر في ذاته فقط، بل ينعكس على مَن حوله أيضًا؛ اذ يشكل مسمّاه لهم انطباعًا من حيث لا يشعرون، وحتى الشّيطان المرافق لإغواء الانسان يتأثر تأثرًا كبيرًا لتلك المسمّيات، يقول الامام الباقر عليه السلام: ((انّ الشّيطان اذا سمع مناديًا ينادي يا محمد يا عليّ ذاب كما يذوب الرّصاص حتى إذا سمع مناديا ينادي باسم عدو من أعدائنا اهتز واختال))[٨٧].

وروي عنه عليه السلام أنه قال: ((إنّ أبغض الأسماء إلى الله (عز وجلّ) حارث ومالك وخالد)) [٨٨]، وربما لأنّها أسماء فيها اشتراك مع ذات الله فهوا الحارث، وهو المالك، وهو الخالد وحده وغيره فان.

وكان عليه السلام يشجع على التكنية بوقت مبكر حتى وإنْ لم يكونوا قد تزوجوا بعد، فـ ((عن معمر بن خثيم قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: ما تكنّى؟ قال: قلت: ما اكتنيت بعد ومالي من ولد ولا امرأة ولا جارية، قال: فما يمنعك من ذلك؟ قال: قلت: حديث بلغنا عن علي عليه السلام، قال: وما هو؟ قلت: بلغنا عن علي عليه السلام أنّه قال: من اكتنى وليس له أهل فهو (أبو جعر)، فقال أبو جعفر عليه السلام: شوه[٨٩] ليس هذا من حديث علي عليه السلام إنا لنكني أولادنا في صغرهم مخافة النبز أن يلحق بهم))[٩٠].

ومثلما يقع على الاب أنْ يُحسنَ تسميتهم يقع عليه أيضًا أنْ يحسنَ تربيتهم؛ فيشجّعهم على السّعي والتّفاؤل في الحياة وعدم الضّجر، وقد أدلى الامام الباقر عن ذلك بقوله:

((لابنه يا بني إيّاك والكسل والضّجر فإنّهما مفتاح كلّ شرّ إنّك إنْ كسلت لم تؤدّ حقًّا، وانْ ضجرْتَ لم تصبرْ على حقّ))[٩١].

ويجدر بالأب أنْ يكون حذرًا في التّعامل، فالآباء بصورة عامّة قد يميلون لبعض ابنائهم أكثر من الآخرين بحكم مؤهلاتهم وملكاتهم، وفي هذا مردود سلبيّ على تصرف الابناء في قادم الأيام، إذ ربّما لفَتَ ذلك انتباه الابناء، فيغدو التحاسد بينهم شعاراً الى حين نشوب الضّغينة، ولعلاج ذلك يجدر بالأب أنْ يجعل أبناءه يستشعرون انّهم على درجة واحدة من القُربى والمودة، يقول الإمام الباقر عليه السلام: ((والله إنّي لأصانع بعض ولدي، وأُجلسهُ على فَخذي، وأنكزُ له المخّ، وأكسر له الكسر، وإنّ الحقّ لغيره من ولدي، ولكن مخافة عليه منه ومن غيره، لا يصنعوا به ما فَعَلَ بيوسف اخوتُهُ، وما أنزل الله سورة إلاّ أمثالًا لكي لا يجد بعضنا بعضًا كما حسد يوسفَ إخوتُه، وبغوا عليه))[٩٢]، ان الافادة من التاريخ وخصوصًا من تاريخ الانبياء نافعة جدًّا في تأسيس منهج تربويّ ناجح، وهو ما استدلّ به الإمام على ضرورة تجنيب الابناء التحاسد حتى إذا التمسنا المصانعة، وعلى المرء أنْ لا يزهد بذلك، ويقول: إنّ الحسد غير موجود في سجل ابنائي، بل انه من الممكن أنْ يوجد، فما رأيه بإخوة يوسف؟ ألم يكن هؤلاء ابناء انبياء؟ ثم أنه ألم يجد الحسد والتباغض طريقه اليهم؟

ومن أجل تنمية الابناء تنمية ناضجة يحرص الأب أيضًا على تعليمهم وتوعيتهم بالمعلومات النّافعة والصّادقة، وتقديم هذه المعلومات إلى الابن تكون له سلاحًا في صدر نوائب الدّهر، وعلى الاب انْ يدرك انّه بفعله هذا يكون قد أنجى ابنه ونفسه كذلك، وقد قال الإمام الباقر عليه السلام: ((من علم باب هدى فله مثل أجر من عمل به، ولا ينقص اولئك من اجورهم شيئا))[٩٣]. لابد من العلم والتعلم خصوصًا في هذا الوقت، ويرى المبعوث آيدن: ((أنّ جهل المسلمين اليوم هو السبب الوحيد في تأخرهم وان تقدمهم لا يكون إلا بنشر العلوم والمعارف بينهم))[٩٤]، وهذا يفرض على الاب أنْ يكون أبًا ومعلمًا في الوقت ذاته.

ـ واجبات المرأة اتجاه الاسرة

لا تختلف وظيفة المرأة عن الرجل من جهة التحلّي بالأخلاق الحسنة والتّعامل بالطّيب والمودّة وبثّ السّلام والرّفق وعدم التجهّم فهي تشاطر الزّوج في الاخلاق السّامية المارة الذّكر الا انّها لا تتحمل مسؤولية الإعالة، فهذه متروكة للرجل ومن هنا كان هو القوّام على الاسرة،

ويسند الى المرأة احترام الزوج وطاعته حتى أنّ الله جعل مصيرها متعلقًا برضاه، فعن الإمام الباقر عليه السلام: ((لا شفيع للمرأة أنجح عند ربّها من رضا زوجها، ولّما ماتت فاطمة عليها السلام قام عليها أمير المؤمنين عليه السلام وقال: اللهمّ إني راض عن ابنة نبيك، اللهمّ إنّها قد أوحشت فآنسها))[٩٥]، ويكمن رضا الزوج في العمل على اسعاده وتهيئة لوازمه، وجعل الجو الأسريّ مُفعما بالرضا والقبول، عندها تكون المرأة مستحقّة لوسام شفاعة الرجل.

ويحدد الامام صلاح الزوجة بأنّها صاحبة المحيّا الجميل بوجه زوجها كأنْ تبتسم بوجهه أو انها بسبب حبها له وعملها على رضاه تجعله يفرح بمجرد النظر اليها، يقول الإمام عليه السلام: ((ما أفاد عبد فائدة خيراً من زوجة صالحة: إذا رآها سرته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها، وماله))[٩٦]، إذا كان هو الرئيس القائد فهي كل وزرائه، فإذا ما غاب كانت هي الرئيس بالوكالة.

وعلى الزوجة الاهتداء بالتعاليم الباقريّة في تربية الوليد، فتؤسّس مدرسة ابنها الأولى في الرّحم، فالعناية بالطفل تبدأ من هنا، فلابد من بثّ القوة فيه، ويأتي التمر خير غذاء للتغذية تستعمله المرأة حتى في المرحلة التالية للولادة، يقول الامام الباقر عليه السلام: ((لم تستشف النّساء بمثل الرّطب إنّ الله تعالى أطعمه مريم عليها السلام في نفاسها))[٩٧] انّه خير من العقاقير التي هي غير مضمونة النّتيجة، واستعمال اسلوب النفي هنا للدلالة على العموم في أنه أفضل شيء للاستشفاء؛ وقد توصل العلماء ((بعد جهود طويلة الى أنّ التمر أو الرطب يحتوي على طاقة عالية وسعرات حرارية كبيرة لا يحتويها غذاء آخر، والمرأة بعد الجهد الذي بذلته أثناء الولادة تحتاج لمثل تلك الطاقة... ويقلل من النزف الحاصل بعد الولادة ويزيد في كمية الحليب المتدفق من ثديي المرأة، ويليّن الأمعاء، ويقوي الكبد ويزيد في قابلية الحفظ لاحتوائه على كميات لا بأس بها من مادة المنغنيز التي تحتاجها خلايا الدماغ، وقد ثبت بأنه يقوي الأسنان والعظام عند الأطفال))[٩٨].

ولا يقتصر الامر على هذا، بل يجب أنْ تقفَ مع الرّجل جنبًا إلى جنب لأجل تربية الابناء بصورة اسلاميّة ناصعة البياض رائعة الجمال، كي يكونوا أسرة زاكية ولوحة زاهية لأهل الأرض والسّماء، والمرأة وان لم تذكر صراحة الا انها مراد بها في احاديث الامام في اثناء توجيهه الحديث للرجل مباشرة فهي شريكة في المقصد ونختم بقوله عليه السلام في تشييد مبدأ الوسطية في التربيّة: ((شر الآباء من دعاه البر إلى الافراط، وشر الأبناء من دعاه التقصير إلى

العقوق))[٩٩]، فهذا المقصود به: الرجل والمرأة معًا لا الرّجل فقط، انّ اتخاذ الوسطيّة منهجا تربويًا يجنّب الابوين كثيرًا من العواقب السّيئة.

ـ واجب الولد اتجاه أسرته

في الوقت الذي نسمع أحد فلاسفة الغرب واسمه لاكرو يقول: ((لا تكتمل هوية الانسان العصري إلا بالقتل الرمزي للأب، أليس هذا بالضبط ما يمنحه صفة العصرية ويجعله يتصور نفسه إنسانا))[١٠٠]. في الوقت هذا نجد تراث الامام الباقر يجود علينا بالانسانية المُثلى بأنْ يكون الاحترام للوالد وللوالدة معًا، والنظرة المليئة بالشّفقة: ((اربع من كُنَّ فيه بنى اللّه له بيتًا في الجنّة: من آوى اليتيم ، ورحم الضّعيف ، وأشفق على والديه ، ورفق بمملوكه))[١٠١]، وروى عليه السلام أيضًا: ((إنّ أبي نظر إلى رجل ومعه ابنه يمشي والابن متكئ على ذراع الأب، قال: فما كلمه أبي عليه السلام مقتا له حتى فارَق الدنيا))[١٠٢]، هذه رسالة يريد منها الامام الباقر احترام الوالدين والاحسان لهما بأن يعيش الابن حالة الشفقة عليهما، وعندها سيكون معتنيًا بهما مليبًا لأوامرهما.

ولا يتوقف واجب الابن اتجاه والديه بحياته فقط، بل يمتد حتّى بعد الممات، يقول الامام الباقر عليه السلام: ((إنّ العبد ليكون بارًّا بوالديه في حياتهما، ثم يموتان فلا يقضي عنهما ديونهما ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عاقّا، وإنّه ليكون عاقّا لهما في حياتهما غير بار بهما، فإذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله (عز وجلّ) بارًّا))[١٠٣]، هذا الحديث رسالة يجب ان تصل الى كل الابناء البارين والعاقين، فالبار يبقى على نهجه ويواصل بره بأبويه، والعاق ينتبه الى غفلته ويُصلح ما ضيّعه في سالف أيّامه، وفي الحالتين تكون الغنيمة للآباء وللأبناء.

أما واجبات الولد اتجاه اخوته فالاحترام هو المبدأ المعتمد عليه، وينقل لنا الامام سيرة ابناء علي المرتضى (عليه وعليهم السلام) ليكونوا قدوة يقتدى بهم، وذلك بقوله عليه السلام: ((ما تكلم الحسين بين يدي الحسن إعظامًا له، ولا تكلّم محمد بن الحنفيّة بين يدي الحسين إعظامًا له))[١٠٤]. إن هذا مما يغيب الان عن كثير من الناس، فالا الاكبر له حق على مَن دونه، وصمتهم في محضره هو لغة بليغة في دلالتهم على احترامه وإطاعته، يكفي انّه الاكبر وربّما تعلّم شيئًا من الحياة لم يتعلموه بعد.

إنّ الاسرة التي تتّسم بالاحترام المتبادل، وتجلّ الوالدين وتعظّمهما وتولي الاكبر

احترامًا مناسبًا هي أسرة متماسكة قويّة قادرة على مواجهة التحدّيات وحلّ مشكلاتها.

المبحث الثاني

العلاقات الانسانية في الاسرة الكبيرة (المجتمع)

مهما كبر المجتمع وتنوّع فانّ رابطة الدم تربط أطرافه سواء أكان الامر على مستوى القرابة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء: ١)، فهذا العالَم المترامي الأطراف المتنوع الفئات المتشتت الأهواء يعود بالحقيقة الى أسرة واحدة، ((وعلى هذا الأساس لا مبرر للتمييز العنصري، واللغوي، والمحلّي، والعشائري وما شابه ذلك مما يسبب في عالمنا الراهن آلافا من المشاكل في المجتمعات. ولا مجال لهذه الأمور وما يترتب عليها من الأمجاد الكاذبة والتفوق الموهوم في المجتمع الإسلاميّ؛ لأنّ كافة البشر على اختلاف ألوانهم، ولغاتهم، وأقطارهم يرجعون إلى أب واحد وأم واحدة))[١٠٥].

أو حتّى اذا كان الامر على مستوى الارض والايمان، فقرابة الايمان لصيقة جدًّا حتى قال الامام الباقر عليه السلام: ((المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمّه؛ لأنّ الله (عزّ وجلّ) خلق المؤمنين من طينة الجنان، وأجرى في صورهم من ريح الجنة فلذلك هم أخوة لأب وأم))[١٠٦]. و((عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: تنفست بين يدي أبي جعفر عليه السلام، ثمّ قلت: يا ابن رسول الله، أهتمُّ من غير مصيبة تصيبني أو أمرٍ ينزل بي حتى يعرف ذلك أهلي في وجهي ويعرفه صديقي، قال: نعم يا جابر، قلت: ومم ذاك يا ابن رسول الله؟ قال: وما تصنع بذاك؟ قلت: أحبّ أن أعلمه، فقال: يا جابر، انّ الله خلق المؤمن من طينة الجنان، وأجرى فيهم من ريح روحه فلذلك، المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، فإذا أصاب تلك الأرواح في بلد من البلدان شيء حزنت عليه الأرواح لأنها منه))[١٠٧]. ان هذه الاخوة الايمانيّة ربما تفوق حتى الاخوة العائلية فالأولى تربطها الروح وهذه يربطها الجسد، وعلاقة الروح أوثق وأقوى؛ لأنّها هي التي تبقى بعد الممات.

إن المجتمع هو أسرةٌ كبيرة فكان من المفروض سيادة المودّة فيه، ولكن تزايدت في البُرهة الأخيرة النّزاعات والخلافات وتنوّعت الأطيافُ، وصارَ الانتماء الطائفيّ والقوميّ أعلى من الانتماء الإنسانيّ، فشاعت الشّحناء وتنامت، وتباينت الأمم فيما بينها، وجميع هذا يعرقل الحياة السّعيدة، ويقفُ حائلًا دونَ الرقيّ بالمجتمعِ والازدهار والعُمران. ومن المؤسف أنّ

العودةَ إلى طريقِ الألفةِ باتت صعبةً بسبب أنّ الموجّه في أغلب الأحيان يقفُ عاجزًا عن التوجيهِ إلّا بما يمسّ منفعة طائفته وانتمائه أو توجهاته؛ فكم سمعنا بالأمم المتحدة؟ وبحقوق الإنسان وبالجامعة العربية أيضًا...، وما نزال نسمع هنا وهناك بدُعاةِ التعايش وصيحات الإنسانية، ولكنّا ما فتئنا نسمع أيضًا بويلات أنين المنكوبين والمتضرّرين من سكان أفريقيا وآسيا وغيرهم؛ وكأنّ ما أسّسوه لم يكن إلّا محضَ شعاراتٍ رنّانة فإذا ما قلّبتها وجدتْها سقيمة التّطبيق؛ من هذا وذاك فقدت الثقة بتعميم نصيحة المُوجّه، وبقيت النزاعاتُ على حالها، وباتت ضرورة العودة إلى مرشدٍ تطمئنّ له القلوبُ إلى مرشدٍ يضعُ الشيءَ في مكانه المُناسب إلى مرشدٍ هدانا إليه نبيّ الرحمة، فبيّن أنه لن نضل به بعد غيابه صلى الله عليه وآله أبدًا[١٠٨]. نعم لو طبّقنا نهجهم لرأينا وأدَ القنابل، ولألفينا أصابيع الدّيناميت شلّاء، ولوجدْنا هذه الأرضَ التي سئمتْ أعمدةَ النّيران مرتديةً جلبابَ الدّولة الفردوسيّة، تلك الدّولة الّتي عبّرَ عنها القرآن الكريم بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٦٦)، وإذا كانت ثمّةَ صحّةٌ كبيرةٌ في المقولة: ((من الفرد يتّجهُ الإسْلامُ إلى إشاعةِ السّلام))[١٠٩]، فكيفَ يغدو ذلك الأمرُ إذا كانَ هذا الفرد هو الإمام الباقر الّذي عرف بإشاعته الامان للأمة الاسلامية؟! حتى بهر الجاحظ ببلاغته في بثّ السلام، حين قال عليه السلام: ((صلاحُ شأنِ النّاسِ التّعايُش، والتعاشرُ ملء مكيال: ثلثاهُ فطنٌ، وثلثٌ تغافلٌ))[١١٠]، فقد التفتَ الجاحظ لسعة مضمونِ هذه العبارة، ورأى أنّه: ((قد جمعَ محمّد بن علي بن الحسين صلاحَ شأنِ الدُّنيا بحذافيرِها في كلمتين، فقال: صلاحُ شأنِ جميعِ التّعايُش، والتّعاشرِ ملءُ مكيالٍ ثلثاهُ فطنةٌ وثلثهُ تغافُلٌ، فلم يجعلْ لغيرِ الفطْنة نصيبًا منَ الخيرِ ولا حظًّا في الصّلاحِ؛ لأنّ الإنسانَ لا يتغافلُ إلّا عن شيءٍ قد فطنَ له وعرفه))[١١١]، فالتّعاشر كلّه فطْنة، وجُزءٌ من هذه الفطنة مشوبٌ بالتّغافُلِ بسبب أنّ التّعامل مع النّاس سبيله الانفتاح على العُيوب وعلى رؤية ما يُسيء، فكانَ التّغافل ضرورةً لأجلِ الاستمرار في التواصل الحميم معهم، وقد قال الشاعر[١١٢]:

وأَغْفِرُ عَوْراءَ الكَريمِ ادِّخارَه ... وأُعرِضُ عن شَتْمِ اللَّئِيمِ تَكَرُّمَا

وعجَبُ أمثالِ الجاحظ بالإمام الباقر معَ ما للجاحظِ من نصْبٍ لأهل البيت[١١٣] يترجمُ لنا عظمة التسامح والتآلف عند الإمام الباقر وأنّه قد شهد به الأعداء، وقد جعل المُخالف

يُقرّ برؤى المُؤالف.

إنّ النشأةَ الّتي نشأ عليها الإمام الباقر والحياة التي آلَ إليها فيما بعد هي وحدَها شاهدةٌ على أنّهُ إمام حقٍّ وأنّه منَ اللهِ تَعالى، فقد رأى وهو صغيرٌ ما جرى مع أهله في كربلاء من المصائب ما يزلزل الجبال الشوامخ إلا أنّه لم يتزعزع، ولم يجعله ذلك يحقد على المجتمع أو ينقم عليه، بل راح ساعيًا لأجل خدمة المجتمع، وبثّ روح الوئام فيه، لقد أراد أنْ يكمل مسيرة كربلاء ببذل مهجة نفسه لأجل شيء مقدس، اسمه الإصلاح في أمّة الجدّ.

لقد قضى حياته وهو يرى أنّ الأمة بوقته تشققت إلى أمم، ذلك لأنّ شيوع الباطل يؤدّي إلى ضعف العلاقات الاجتماعيّة، مما يؤدي إلى هلكة الأمة لولا تدخل صمام الأمان في تلاحمها وديمومتها؛ فحين رأى عليه السلام بني أمية قد أحيوا نهج أشياخهم وأعادوا المعالم الأولى للجاهليّة، وشجّعوا على القبليّة، ووسّعوا الفوارق بين الأشراف والموالي حين رأى ذلك سعى في إحياء المنهج الأصيل للإسلام، وجاد بتزيين الدنيا بلآلئه. ففي الوقت الذي نجد فيه الشّعر وهو وسيلة العصر آنذاك يعج بالتنابز، ويسود فيه الهجاء، فراجَ فنّ النقائض نجده عليه السلام يجسّد أروع المثل الإنسانية لنرى في كلامه فنّ التآلف.

في عصره عملت السياسة الأموية على توسيع الفجوة والعداء بين العدنانيين والقحطانيين، فهجا الكميت القحطانيين[١١٤] وافتخر بنزار، فقال:

ألا حُيِّيتِ عَنَّا يا مَدِينا ... وهَلْ ناسٌ تقولُ مسلمينا

إلى أن انتهى إلى قوله تصريحاً وتعريضاً باليمنين فيما كان من أمر الحبشة وغيرهم فيها، وهو قوله:

لنَا قَمَرُ السَّماءِ وكلُّ نجم ... تشير اليه أيدي المُهتدِينا

وجدْت اللّه إذ سَمَّى نزاراً ... وأسكنهم بمكة قاطنينا

لنا جعَلَ المكارم خالصات ... وللناس القفا ولنا الجبينا

وما ضربت هجائن من نزار ... فوالج من فُحول الأعجمينا

وما حملوا الحمير على عِتاقٍ ... مُطهَّرةً فيلفوا مبلغينا

وما وجدت نساء بني نزار ... حلائل أسوَدِين وأحمرينا

ممّا أثار حفيظة دعبل الخزاعيّ، فردّ عليه ذاكرًا مناقب اليمن وفضائلها من ملوكها وغيرها، وصرّح وعرض بغيرهم، كما فعل الكميت، وذلك في قصيدته ومنها:

أفيقي من ملامِكِ يا ظعِينا	كفاكِ اللّومَ مَرُّ الأربعينا
ألم تحزُنْكِ أحداثُ الليالي	يُشَيِّبنَ الذّوائب والقُرونا
أحَيِّ الغُرَّ من سروات قومي	لقد حُيِّيتِ عنَّا يا مَدينا
فإن يك آل إسرائيل منكم	وكنتم بالأعاجم فاخرينا
فلا تنسَ الخنازير اللواتي	مُسِخْنَ مع القرود الخاسئينا
بأيلةَ والخليج لهم رُسومٌ	وآثار قدُمْن وما مُحينا
وما طلبُ الكميتِ طلاب وترٍ	ولكنا لنصرتنا هُجِينا
لقد علمت نِزارٌ أن قومي	إلى نصر النبوة فاخرينا

إذا كان الخصام يكون بين قطبين من شعراء الشيعة إلى هذا الحد! فكيف يكون النزاع بين أطياف الامة؟! تلك الأمة التي تلاشت الى أمويين متغطرسين وزبيريّين متربّصين وخوارج حاقدين الى شيعة لم يعضوا على ضرس قاطع لأجل التكاتف والتآلف؟!

كيف يكون حال الأمة ونحن نجد أممًا أخرى موجودة بين المسلمين كاليهود والنصارى؟! هذه الفسيفساء لا تقر في ظل تلك التنازعات ولا شكّ انّه لولا تدخل الإمام الباقر وبثه رجالات مصلحين معلّمين لما بقيت الأمّة على حالها، فقد سعى وجاهد وكافح لأجل تحقيق الانسجام بين تلك التنوعات، فظهر في نهجه أكثر من سبيل لبناء مجتمع يزدهي بالعلاقات الانسانيّة السامية، وينمو بين أطيافه الوئام والمودّة، وقد رسمها الإمام عليه السلام في أبهى صورها، وأجلى معانيها، وعلى النحو الآتي:

ـ النظر إلى المجتمع على أنه أسرة واحدة كبيرة.

كثيرًا ما نسمع أنّ الأسرةَ مجتمعٌ صغيرٌ أو أنّها اللبنة الأولى للمجتمع، ولكن في كلام الإمام الباقر نجد التّعبير عن المجتمع على أنّه أسرةٌ كبيرةٌ، ولننظر إلى ما قالهُ إلى الخليفة الأمويّ بما يُدلي بتعميم القرابة بجعلِ جميع المسلمينَ أسرةً واحدةً متراصّةً يحسنُ بعضُها إلى بعضِها الآخر، فحين قال له: ((عمر بن عبد العزيز... يا أبا جعفر، أوصني قال: أوصيك أنْ

تتخذَ صغيرَ المُسلمين ولدًا وأوسطهم أخًا وكبيرهم أبًا؛ فارحمْ ولدَكَ، وصلْ أخاكَ، وبرَّ أباكِ))[١١٥]، وتكرر مضمون الحديث عنده عليه السلام في قوله لأحد أصحابه: ((يا أزهري أما عليك أنْ تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك؟ فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك وتجعل تربك بمنزلة أخيك فأي هؤلاء تحبّ أن تظلم وأيّ هؤلاء تحبّ أنْ تدعو عليه وأي هؤلاء تحب تهتك ستره))[١١٦].

وقد عرفنا بالفطرة أنّ الإنسان رحيم ببنيه[١١٧] وبأسرته، فإذا ما نظَرَ إلى الصِّغار بصورة عامة على أنهم أبناؤه تمكّن من أن يرحم الجميع مهما كان الموقف، ونظر إليهم جميعًا على أنهم كبده يمشي على الأرض.

ومؤاخاة الأوسط من المسلمين ممّن هو في سن مماثل أو مقارب يعني أنْ نؤدي معه واجبات الإخوة، تلك الواجبات الإنسانيّة الحميمة كالألفة والرّحمة والمساعدة والبِرّ والتّواصل...، كل هذا يعني إنتاج مجتمع مليء بالمثل الإنسانيّة الرّائعة.

بقي أخيرًا التعامل مع الأكبر سنّا بصفته أبًا، وهذا يُدلي ببثّ البِرّ مع جميع الكبار؛ ليتكوّن من ذلك مجتمع رائع مجتمع سامٍ مجتمع الرحمة والألفة والاحترام مجتمع العلاقات الانسانيّة العظيمة.

إنّ تصيير المجتمع كلّه أقرباء للشّخص تجعله يعيش في تحنُّنٍ تامّ مع الآخر فلا يضرّ أحدًا ولا يقاطعه ولا يخاصمه، وتجعل من المجتمع مجتمعا بارّا رؤوفًا عطوفًا، وما بعد هذا من مطلب يُدرك، فمن المؤكد أنّ هذه الخصال تستتبعها خصال طُهْرٌ، فمن عِدْل إلى برٍّ إلى إحسانٍ إلى كلِّ ما مِن شأنهِ أنْ تنتشر به البنى الرّوحية لقيام المجتمع الأمثل، المجتمع الّذي يرتقي فيه الواقع الى مستوى الطموح.

هذا الفكر الرّبانيّ الذي صيّر العالم الإسلاميّ كلّه أسرة واحدة، وفيه تبيّنت الأبوّة للأكبر بالعمر وتسنّمت فيه الأخوة مع المساوي أو المقارب بالعمر، وتجلّت البنوة مع الأصغر، هذا الفكر ضرَبَ أبدع صور العلاقات الانسانية العالميّة التي يحتاج إليها الإعلام والاقتصاد والاجتماع وكلّ مَن على هذه البسيطة. في هذا الفكر يموت التحاسد ويُستأصَل وتنتهي الشحناء، وتتعاون الطبقات الاجتماعية فيما بينها ويتناغم الغني مع الفقير؛ فتذوب الفروقات وتتحسن الأحوال، ويُبان الخطأ في رؤية بعضهم: ((أنّ الطّبيعة الإنسانيّة مشبعة

بالعنف، فالنّاس يتحركون بواسطة الرّغبات نفسها، وهذه الرغبات عادة ما تكون مستبدة وملحة))[١١٨]، انّ هذا التعميم يعد خطلًا، فالنّاس ليسوا حيوانات كاسرة، ولكنّهم لو أخذوا من الكيان المبارك من النّبيّ والأئمة لفازوا بمجتمع طيّب مليء بالأنس والرّفاهية.

وبناء على ما سبق كثرَ تعبير الإمام الباقر عليه السلام عن المؤمن بأنّه أخٌ، يقول الإمام ((أحببْ أخاكَ المسلمَ، وأحببْ له ما تحبّ لنفسكَ، واكرهْ له ما تكرهُ لنفسك، وإذا احتجْتَ فسَلْهُ، وإذا سألكَ فأعْطه، ولا تدّخرْ عنهُ خيراً فإنّهُ لا يدّخره عنكَ، كنْ له ظهْراً فإنّهُ لك ظَهْرٌ، إنْ غابَ فاحفظْهُ في غيبته، وإنْ شهدَ فزُرْهُ، وأجلَّهُ، وأكْرِمْهُ فإنّهُ منكَ، وأنتَ منهُ، وإنْ كان عليكَ عاتبًا فلا تُفارقْهُ حتّى تَسُلَّ سخيمته وما في نفسه، وإذا أصابَهُ خيرٌ فاحمدِ الله عليه، وإنِ ابتلي فاعضدْهُ، وتمحّل له))[١١٩].

إنّ العلاقات التي تشدّ أواصر المجتمع الإسلاميّ هي أواصر المحبّة، ويجبُ أنْ يكونَ هناكَ تبادلٌ في المنفعة بين المُسلمين؛ فهم أخوة، والأخ يحتاج إلى أخيه ولا بدَّ من حفظه غائبًا كان أو شاهدًا، ولا بُدّ من زيارته مع إجلاله وإكرامه وما أجملها هذه العبارة: ((فإنه منك، وأنت منه))! التي تفتقدها الحضارات الأخرى، ويؤكّد عليه السلام أنْ لا تكون المفارقة معه إلّا على رضا؛ ولأنّه منك فواجب عليكَ أنْ تشكرَ الله على النّعمة التي تصيبه، وإذا ابتليَ فعليك أنْ تمحل له أي اطلب له الخير.

إنّ المتأمّل في الواجبات السّالفة يدرك أنّ أكثر النّاس من المسلمين الآن قد غابوا عن واجبات الإسلام، وانّ انتقاد الإسلام ليس بسببه وإنّما بسبب أبنائه العاقّين له، بل يدرك السّبب الذي تخلّف فيه المُسلمون عن ركب التقدّم؛ وذلك لأنّهم لم يأخذوا ما أملاه عليهم رَبَابينُ السّعادة.

ـ بسط العلاقات الانسانيّة مع الجميع

عرفنا فيما سبق أنّ الامام جعل من المجتمع أسرة كبيرة، وهذا يجعل السبيل سالكًا لإقامة العلاقات الانسانيّة؛ فبسط المودة والرحمة والحب والتعاون والتسامح والاحترام وخدمة الاخرين والإحسان للآخر ـ أيّا كانَ ـ أمرٌ مهم وضرورة لا بدّ منها، يكفي أنّ في ذلك بيانَ الصورة الحقيقية للإسلام، تلك الصّورة التي ضيّعتها أغبرة المتربّصين والمدّعين، ولكن الأغبرة تلك تضمحلّ إذا ما قصدْنا مَنْ بهم جلاء صورة الإسلام الحقيقيّة، ولقد رأينا

كثيراً ممّن يتبلور على يديه نوع من تلك السمات إلا انّه جزئيّ أو متقطع، يدورُ في ركاب المجموعة الّتي ينتمي إليها، والعالم اليوم به حاجة إلى التحلي بالانسانية تحليًا لا يقفُ عند الحدود، ولا عند الانتماءات، كل ذلك من أجل أنْ يتبدّد العنف وينتهي، وقد أثبت الإمام أنّه بفضل توادِّه مع أبناء مجتمعه أنه إمام زمانه بلا منازع، حتى قيلَ: ((قد كان الإمام الباقر عليه السلام ليس إماما للشيعة فقط؛ فقد اتخذته السنّة إماماً، وتأثرت به كافة المذاهب السنية، ربما أكثر مما تأثر الشيعة به. فهو الذي أعطى كافة الفئات الإسلاميّة الأخرى الفكر الرّسالي المرتبط بكليّات الرّسالة وقضاياها الإسلاميّة))[١٢٠].

وفي كلامه عليه السلام ما يؤكّد أنّه قائدُ الإسلام في عصره وطريق الهداية لكلّ الأزمنة، والسّبيل إلى تآخي البشريّة، فيقول عليه السلام: ((صانع المنافق بلسانك، وأخلصْ مودّتك للمؤمن، وإنْ جالسَكَ يهوديٌّ فأحسنْ مجالستهُ))[١٢١].

في هذا الحديث جمَعَ الإمام رأس العلاقات الانسانيّة في التّعامل وهما التّعايشَ والتّسامحَ معًا فضلا عن الأدب الجميل والاخلاص والمودة والحنكة والدقّة في التعامل، بل أسّسَ وأشادَ وأجادَ للتّعاملِ الحسنِ معَ الآخرِ الذي يعكس الوجه الجميل للإسلام بما يؤهّله لأنْ يكونَ الخيمةَ الّتي تضمّ كلَّ الأديان فضلًا عن احتوائها كلّ الأطياف، إنّ الإنسانَ الّذي يتجنّبُ الآخرينَ سيكونُ إنسانًا متقوقعًا على نفسه ممّا يجعلهُ هذا قليلَ الحظّ في الإفادة من الآخرينَ، فكانت المُصانعة مع المنافق؛ وذلك لأنّ المنافقَ يُضمرُ خلافَ ما يُبطنُ، وهنا يكون التّعامل معه مقبولًا بشرط أنْ يكونَ مصانعةً لا مُخالَلة، فليسَ من الإنصاف إخلاصُ المودّة له والتّصديق به من دونِ أيِّ حذرٍ؛ لأنّ ذلكَ ربّما أوقعَ الإنسانَ في تهلكة لتصديقه مَنْ لا يصْدُق، فكانت المصانعة معه هي العلاجَ لأمنِ شرّه، ولعلّ هذا يفسّرُ لنا مصانعةَ النّبيّ لكثيرٍ من المنافقينَ في زمانه بسبب توقّع النّتيجة السّلبية عند عدم مصانعتهم؛ عسى أنْ تكون هذه المصانعة سببًا لأنْ ينهلَوا من النّور الحقيقيّ فيحسن حالهم، فالمنافق ليس كالمؤمن المخلص الذي يؤمن بأقلّ مجهود؛ فربّما احتاج المنافق إلى وقتٍ طويلٍ؛ كي يهتديَ حتّى إذا لم يهتدِ فإنّ طرده من روضة النّورِ المحمديّ وأهلِ بيته قد يُعرّضُ هذه الروضةَ المباركةَ لعداءات تُحيل دون وصول النّاس إلى رؤية جمال هذه الرّوضة.

ومن جهة أخرى ينبئ التّعامل مع المنافق - بالرّغم من الشكّ بحقيقته - عن عظمة

الإسلام في تعايشه، وقد عبّر الإمام الباقر عليه السلام عن تحقق صلاح الناس: ((صلاحُ شأنِ النّاسِ التَّعايُش، والتعاشُر ملء مكيالٍ: ثلثاهُ فطنٌ، وثلثٌ تغافلٌ))[١٢٢]، فهذا تغافل فقط؛ لأجل ديمومة الحياة. ومصانعة المنافقين باللسان لا بالقلب ليس ركونًا للذين ظلموا، بل فيه فائدة كبيرة للمؤمن وللمجتمع بصورة عامة؛ لأنه إذا أُعرض عن المنافقين، وهم بلا شك فئة ليست قليلة كان هذا مدعاة إلى أنْ يكون المجتمع متقطعَ الأوصال، لا يمكنه أنْ يقوم على قدم ولا ساق، ويعجز عن ملاقاة المستجدات والخطوب، ونقولها: إنّ النّفاق موجود في المجتمعات ولا يمكن الادّعاء أنّه غير موجود إلا في المجتمع المثاليّ، ويؤكّد سعة وجوده وخطره أنّا وجدناه في سورة البقرة مذكورًا في آيات كثيرة، ووجدنا الحديث عن المشركين في آيتين. ومع أنهم عامل ضعف في المجتمع الإسلاميّ إلا أنه لا يمكن طردهم من الساحة الإسلاميّة؛ لأن الدليل غير قائم عليهم، وطردهم يُعرّض الإسلام لانتقاداتٍ وتقولاتٍ هو في غِنى عنها.

ويزيد على ذلك أنّ الإنسانَ إذا تعاملَ معَ النّاس على حقيقتهم؛ فأعرضَ عن مُسيئِهم أو جازاه بما يحتمله في باطنه كان هذا سببًا في وقوع الإنسان بمشكلاتٍ وخيمة. زدْ على ذلك أنّ تحديد نفاق الشخص ليس بالسهولة؛ إذ ربّما يكون تحديدنا خاطئًا، وفي حالة الابتعاد عن شخص ما بسبب شكّنا بنفاقه نكون محتمَلين للخطأ؛ إذ ربّما تبيّن أنّ شكّنا لم يكن في محله فنخسر إنسانًا لذلكَ، ولو كنّا اعتمدْنا المصانعةَ منذ البداية لكنا أمِنّا عاقبة التحديد الخاطئ وجنّبنا أنفسنا هذا العناء.

أما المؤمن فيجدر إخلاص المودّة له لبناء مجتمع إيمانيّ متماسك، تسوده الألفة والمودة، ويتنعّم بطيب العلاقات الاجتماعيّة، ونلحظ دقّة اللّغة في التّعبير، فمعَ المنافقِ قالَ (صانعْ)، وفي اللغة ((يقال صانَعَه، إذا داراه ولايَنَه وداهَنَه...، وقال زُهَيْرُ بنُ أبي سُلْمى:

وَمَنْ لا يُصانِعْ في أمورٍ كَثيرَةٍ ... يُضَرَّسْ بأنْيابٍ ويُوطَأْ بمَنْسَمِ

أي من لم يُدارِ الناسَ في أمورِهم غلَبوه، وقهروه وأذَلُّوه))[١٢٣].

أي يريد الإمام أنْ يُتماشَى مع ظاهرِ النّفاق في المنافق باللسان فقط، ومع المؤمن قال: (أخلِصْ)، أي كن له مُخلصًا في جميع الأحوال، ثمّ حين كان الحديث عن اليهودي قال (جالِست)، وهذا يدلّ على التّعايش مع غير المسلم، بل انّ الإمامَ يشترطُ أنْ يحسنَ مجالسته، ويلحظُ جماليّة اختيار اليهوديّ دونَ غيره؛ لأنّ اليهوديّ عرف بالعداوة واللجاجة

للمؤمنين حتّى قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة: ٨٢)، فالإمام يريدنا أنْ نظهر الخلق الحسن حتّى مع ذلك الّذي عرف بأنّه الأشدُّ عداوةً للمؤمنين، وهذا أروع آيات الحسن في التعامل مع الآخر على ما لليهودي من صفة الغدر، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام في مروانَ بن الحكم: ((لا خيرَ لي في بَيعتِه إنّها كَفٌّ يهوديةٌ))[١٢٤]، أي: غادرة والنعت منسوب إلى (يهود) وهذه ((النّسبة لشيوع الغدرِ فيهم)) [١٢٥]؛ ((إذ من شأنِ اليهودِ الخبثُ والمكرُ والغدر))[١٢٦]، وجعل لفظ (اليهود) كنايةً عن الغدرِ يدلُّ على أنّهم بلغوا في الغدرِ ما أهّلهم لأنْ يكونوا مضربَ مثلٍ فيه، كلّ هذا والإمام الباقر يحثّ على أنْ تكون المجالسة مع اليهودي حسنة. أليس هذا أقصى الغاية في إقامة العلاقات الانسانيّة؟!

إذا أردنا أنْ نقسم التعامل مع الناس بصورة عامة من المسلمين وغير المسلمين من الأديان الأخرى تكون النتيجة في الجميع تعايشًا يتناسب مع المقابل بمراعاة ما يستحقّه، وبما به يحقّق المجتمع المنفتح والقادر على مواكبة الأحداث من دون أخطار، ويمكن إجمال التّعامل بالشّكل:

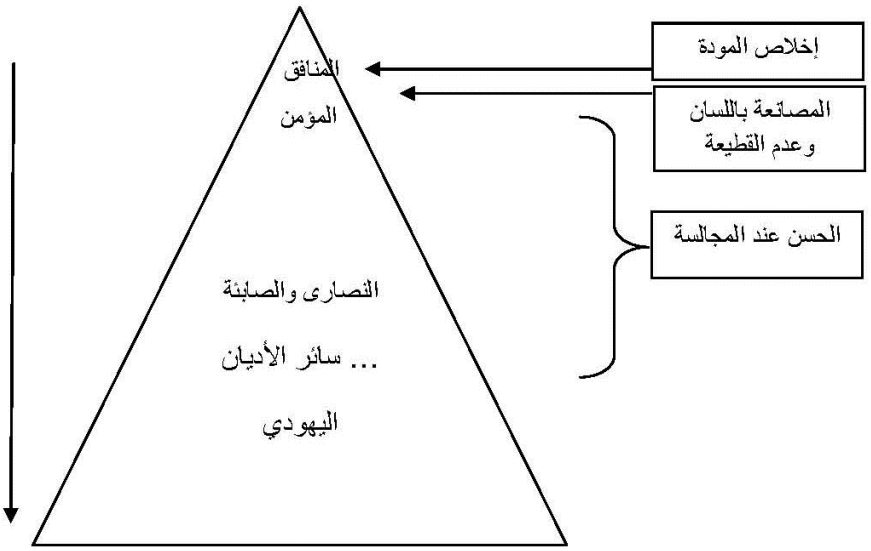

إن هذا الهرم يؤكد عظمة الإسلام وحيويته في تواصله، ويؤكد أنّ رجالاته الحقيقيين هم الفئة القادرة على تشخيص متطلبات العيش بهذه الأرض.

ممّا سبق ندرك السّبب لماذا أنّ الإمام عليه السلام قد شدّد النّكير على رجلٍ سَمِعَهُ يتعوّذُ من النّاس، وأثبتَ أنّ التّعوّذ يجبُ أنْ يكونَ من الأشرارِ فقط؛ فمن المحال أنْ يعيش الإنسانُ وحيدَ نفسِه، فلا يصطحبَ الآخرين أو يأنس بهم، يقول الإمام عليه السلام بعد أنْ سمعَ رجلًا قال بحضرته: ((اللهم أغْنِني عن خلقكَ.. قال عليه السلام: ليس هكذا: إنّما النّاس بالنّاس ولكن قل: اللهم أغْنِني عن شرار خلقك))[١٢٧]، وهو تمثيل للقران الكريم: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (الفلق: ١ ـ ٢)، فالاستعاذة ليستْ من خلقِ اللهِ بل من شرارِ الخلقِ.

وفي الحديث الإمامي يتبيّن أنّ قيامَ النّاس يكون بالنّاس، فمهما كانَ الإنسان من الرّقي والقوّة الجسمانيّة فانّه لا يستطيع تأمين كلّ متطلباته وحاجاته، فيحتاج بذلك إلى الآخرين في تأمين المتطلبات، ومن هنا لم يكن بمقدوره الحياة منفردا أبدًا؛ لأنّه حينها سيعاني من مشكلات لا تُحصى، تجعله يتخلّف ولا يتقدّم، فكانت المُعايشة مع النّاس والإفادة منهم أمرٌ لا بدّ منه، ومن هنا اعترض الإمام على ذلك الدّاعي بأنْ يُعرض عن دعوته؛ لأنّها تعود وبالًا عليه؛ إذ سيتوقف عن مواكبة الحياة بصورة سليمة. نعم على الإنسان أنْ يستعاذ ولكن من الأشرار؛ لأنّ هؤلاء يتسببون بالأذى له وللآخرين، ومثل هؤلاء تجدر الاستعاذة منهم.

إنّ القول (النّاس بالنّاس) يعني التّعاضد بين النّاس والتّداخل فيما بينهم في أمورهم، وسرد مصاديق ذلك الحديث مما يضيق به المقام، بل يحتاج إلى مصنّفات، ولكن نذكر من أصنافه في كلام الإمام عليه السلام ما يعرف بالاستشارة التي ترسِّخ ضرورة اجتماعيّة الإنسان، وأنّهُ من دونها لا يعيش حتى أنّ اتخاذ القرارات الخاصة لا يجوز أنْ يكون فرديًا؛ لأنّه قد يخطأ فعليه أن يفيد من الآخرين ويحاورهم، ويفيد منهم، فقد ورد عنه عليه السلام: ((من لا يستشر يندم))[١٢٨].

إن الناس تحتاج في تطلعاتها إلى توجيهات الآخرين ممّن هم أكثر حنكة وأجزل حكمة، فمثل هؤلاء يختصرون الطريق على ذوي الحيرة، أمّا إذا ترك الإنسان الإفادة من الآخرين، وأخذ برأيه المنتقص إلى الدقة فانه يحتمل الوقوع في ضلالة. إن الإفادة من الآخرين المتمرسين خصوصًا فيها تكريم للخبرة، وإقامة علاقات قوية بين طبقات الناس، وتجنيب الإنسان من الضياع، فكم خسر الناس نتيجة لانعدام المعرفة السليمة في أثناء الإقدام على عمل ما؟

لابد من تواصلنا مع العلماء مع الآباء مع الأشخاص الذين خبروا الحياة وإلا كان الندم، وهذا الأمر يصدق مع كثير منا هذا اليوم ممن تصرفوا على هواهم، فأوقعوا أمة

بتخبط وأخذوا بها إلى الهاوية، ومع أنّ ذلك الحديث يؤكد مكانة المستشار في المجتمع إلّا أنّه لا يعني أنْ تكون الاستشارة إلى أيّ كان، بل لا بدّ أنْ تكون ممّن في نصيحته تُحتَمل نسبة النّجاح، فقد قال عليه السلام: ((واستشر في أمرِكَ الذين يخشون الله))[١٢٩]، فهؤلاء نصيحتهم تكون صادقة غير خاضعة الى مصلحة أو غاية شخصية.

إن هذا هو مبدأ العلاقات الانسانية المليء بالفائدة العلمية والاجتماعية والنفسية والخلقية...، وكل ما من شأنه أن يعودَ بالفائدة على الإنسانِ نفسه. نعم لقد جاد علينا الإمام الباقر عليه السلام بالعلاج والدّقة في تحديد ذلك العلاج، والجود بالصحيح أحلى غاية الجود.

وتمتاز العلاقات الانسانيّة عند الامام بأنّها تكون مع الفقير والغني سواء أي ليس مثلما نراه الان من بسط العلاقات الانسانية مع ذوي المال أو المناصب فقط[١٣٠]، فبالأحاديث السالفة كان الكلام عامًّا غير مخصّص وقد طابقتها الأفعال الإمامية، وممّا يذكر: ((أنّه كان جالسًا مع أصحابه حتّى سمع صيحة في داره، ثمّ أتاه بعض الخدم فأكبّ عليه وأسرّ إليه سرّا، فقال: الحمد للّه؛ له ما أعطاه وله ما أخذه. انهَهم عن البكاء، وخُذوا في جهازه واطلبوا المسكينة، وقولوا لها: لا ضيرَ عليك، وأنت حرّة لوجه اللّه لما تداخلك من الرّوع. ورجع إلى حديثه فتهيّب القوم سؤاله حتّى أتي إليه، فقيل له: قد جهّزناه. فقال لهم: قوموا بنا نصلّ على هذا الصبيّ ! قالوا: ومن هو يا ابن رسول اللّه؟ قال: ولدي فلان سقط من يد جارية كانت تحمله، فمات))[١٣١].

فهذا التّعامل الإنسانيّ العظيم مع تلك الجارية لم يكن مستساغًا في عصره أو في غيره، فالترحم عليها وإبداء المسكنة لها بسبب حلم الإمام، الذي جعله ينظر لحالتها قبل حالته بفقدان ابن صغير هو فلذة من فلذات الفؤاد.

المجتمع الإسلامي مجتمع الجميع فلا طبقية ولا تمييز في الأحكام، فهل نجد مثل هذا في المجتمع الرأسمالي أو الاشتراكيّ؟ أم أين هذا الخلق من خلق تصرفات بعض السّادة: ((يُربّي..، السّمك، الذي يبلغُ طول الواحدة منه قدمًا ونصف قدم في حوض كبير، ويُطعمهُ لحم المَغضوب عليهم من العبيد))[١٣٢]، فيكون الإنسان مأكولًا بعد أنْ قيّضَ اللهُ لهُ أن يكون آكلا، ويكون ذلك السيد اللئيم كريمًا من جهة الأسماك فقط، لئيمًا من جهة أخيه الإنسان؟!

ـ ضرورة التفضّل على الآخر قدر المستطاع.

من ركائز العلاقات الانسانية المهمة مدّ يد العون إلى الآخر، فهذا كفيلٌ بجذبه أخًا ودودًا حتى اذا كان مناهضًا ومخاصمًا فإننا سنقوم باستئصال الشّحناء منه أو في الأقلّ تجنّب ضراوته، وقد قال الإمام عليه السلام: ((إن استطعتَ أنْ لا تعاملَ أحدًا إلّا ولك الفضلُ عليه فافعلْ))[١٣٣]، فهذا حثٌّ شديدٌ على أنْ يكونَ الإنسانُ مبادرًا للخيرات والامتنان على الآخرينَ، والإمام هنا وإنْ كانَ يوجّهُ الخطاب إلى مُخاطبٍ معيّنٍ إلّا أنّ المراد من المُخاطب الحقيقيّ كلّ مَنْ يسمَعُ هذا الكلام عليه المبادرة للتفضّل على الآخرين، وتطبيق هذا الحديث تطبيق للمجتمع المثاليّ تطبيق للجمهورية الافلاطونية بصورة أمثل وأفضل وأنقى ممّا رسمها أفلاطون نفسه.

وهذا خطوة في سبيل بث العلاقات الانسانية الراقية الفعّالة، ولكنْ ثمّة تقييد (إن استطعت)؛ لأنّ الإنسانَ قد يأتيه وقت يعجز فيه عن الإحسان، وهنا تكون محاولته الإحسان مع عجزه الشّديد مؤذيةً له أو أنّها غير متيسّرة، فكانَ الإحسان مرهونٌ بالاستطاعة، وهذا من التّدبيرِ الّذي لا بدّ منه، فإذا كانَ الإسلامُ بسَماحته يؤكّدُ أنْ لا إكراهَ في الدينِ فهوَ يؤكّدُ أيضًا أنْ لا تكليفَ فوقَ المُستطاع.

وبلاغة أهل البيت تظهر في أقوالهم جلية وهي في أفعالهم كذلك، فمن الصّور المشرقة التي تترجم عن هذه البلاغة المزدوجة في القول والفعل (التفضل على الآخر بسخاء عظيم)، إذ كان الجود والسخاء ديدن الإمام عليه السلام مع أصحابه بصورة خاصّة ومع النّاس بصورة عامّة؛ ممّا لفتَ انتباهَ خدمه إلى ذلك، فقد روي عن سلمى مولاته عليه السلام: أنه ((كان يدخل عليه أصحابه فلا يخرجون من عنده حتى يُطعمهم الطعام الطيب، ويكسوهم الثّياب الحسنة، ويهب لهم الدراهم، فأقول له في ذلك ليُقلَّ منه. فيقول: (يا سلمى ما حسنة الدنيا إلا صلة الاخوان والمعارف) وكان يجيز بالخمسمائة والستمائة إلى الألف، وكان لا يملّ من مجالسة إخوانه))[١٣٤]، فنسبة كبيرة من أمواله كانت لإخوانه ممّا يعني أنّ الغنى كانَ تعزيزًا للأخوة ولشدّ الأواصر الاجتماعيّة معهم بجو يسوده التعاون والحب والمودة. وربما أُعْدِمَ الإمامُ عليه السلام من المال، وهذا يُثيرهُ، ويجعله يطلبُ الغنى من الله؛ لأنّهُ ألِفَ الإكرامَ للإخوانِ؛ لذا نجده يدعو ويلحّ على الله بطلب الغنى لأجل تلك الغاية السّامية، ونقل الجاحظ أنّه:

((كانَ محمّد بن عليّ بن الحسين يقولُ: "اللهمّ أعنّي على الدّنيا بالغنى وعلى الآخرة بالتقوى")) (١٣٥).

ولما كان إكرام الإمام للخلّان وللنّاس ظاهرة متكررة دهش انتباه الأصحاب حتّى قال عمرو بن دينار وعبد الله بن عبيد بن عمير: ((ما لقينا أبا جعفر محمد بن عليّ عليه السلام إلّا وحمل إلينا النّفقة والصّلة، والكسوة، ويقول: هذه معدّةٌ لكم قبلَ أنْ تَلْقوني)) (١٣٦).

لقد عرفه الناس بجوده كمعرفتهم اياه بعلمه، يقول ابن الصباغ المالكيّ: ((كانَ محمد بن علي بن الحسين عليه السلام مع ما هو عليه من العلم والفضل والسّؤدد والرّياسة والإمامة، ظاهر الجود في الخاصّة والعامّة، مشهور الكرم في الكافّة، معروفاً بالفضلِ والإحسانِ مع كثرةِ عيالهِ وتوسّطِ حاله، وأنّه كانَ يدخلُ عليهِ بعضُ إخوانِه، فلا يخرجون من عندهِ حتى يطعمهم الطّعام الطّيب، ويكسوهم الثّياب الحسنة ويهب لهم الدّراهم...)) (١٣٧).

وجاء عن ابنه الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: ((دخلت على أبي يومًا وهو يتصدّق على فقراء أهل المدينة بثمانية آلاف دينار واعتق أهل بيت بلغوا أحد عشر مملوكا)) (١٣٨)، أقول: كل هذا الكرم المعجزِ وأذاننا تسمع بكرم الأسخياء ممّن ليسوا هم من أهل البيت، كحاتم الطائيّ وهرم بن سنان، وحين قرأنا ما ورد عن الإمام الباقر كنّا نتصوّرُ أفولَ نجمِ الكرماء في ظلِّ ما وردَ عنهُ ، أو أنّنا نجد أنه عليه السلام - في الأقل - مذكورًا في ركابهم عند الحديث عن الكرماء! ألا يدلُّ هذا على أحد أمرين، وهما: إمّا أنّهم عليهم السلام قد ظلموا ولم يأخذوا حقّهم الذي يستحقّونه، أو أنّنا لم ننشر فضلهم بسبب تقاعسنا (١٣٩).

أن الكرم الامامي يجعلنا - في حالة الاقتداء به - مجتمعًا متوادّا لا نجد فيه فقيرًا ولا مُعدمًا، بل الجميع مُنعّمون متحابّون، فلا صراع ولا شقاق ولا نزاع ولا خلاف.

- اللغة الصحيحة في نشر العلاقات الانسانية.

لا يمكن التّسليم للقول: إنّ الّذي يُطعِّم نصّه بفنون البلاغة بليغًا، بل البليغ الّذي يصلُ إلى القلوب بخطابته، وكم وجدْنا أولئك الّذين عُدّوا في البُلغاء، ولكنّهم لم يكونوا بليغينَ بالمعنى الحقيقيّ، فالحَجّاج كانَ مُجيدًا، ولكن ليس في البلاغة الرّوحيّة التي تناغِم النّفس وتطرب الفؤاد، وإنما في البلاغة الدنيوية (١٤٠).

إنّ من المعروف أنّ اللغة أداة التّواصل بين البشر، وهذه الأداة وسيلةٌ مهمّةٌ في تقريب وجهات النّظر وفي التّأثير بالمقابل وكسْبِ رضاهُ، ولقد رأينا حرصَ الإمامِ الشديد على تشذيبها بما رويَ عنه عليه السلام أنّه: ((كانَ لا يُسمَعُ من دارِه (يا سائلُ، بورِكَ فيكَ، ولا يا سائلُ، خُذْ هذا)، ويقولُ: سَمّوهم بالحسنِ الجميل: (عبادَ الله)، فتقولونَ: يا عبدَالله، بورِكَ فيكَ))[١٤١].

إنّ حفْظَ كرامةِ الفقير من أولويّات فكر الإمام، فكان القول (سَمّوهم بالحسن الجميل)، ومن هنا كان الخطاب مع الفقير بما لا يجعله يستشعر فقدان كرامته، وقد روى بعضهم ((قلت لأبي جعفر عليه السلام: الرجل من أصحابنا يستحي أنْ يأخذ من الزكاة فأعطيه من الزّكاة ولا أسمّي له أنّها من الزّكاة؟ فقال: أعطِه ولا تسمِّ له ولا تذل المؤمن))[١٤٢].

إنّ الحفاظ على عزة الفقير تجعله يكون ودوداً للمجتمع أنيسًا به، فالفقراء يمثّلون طبقةً كبيرةً في مجتمع الإمام الباقر عليه السلام، بل في كل وقت، والتّعامل معهم بالحُسنى أمرٌ ضروريّ لا على مستوى العطاء فقط، بل حتّى على مستوى التّخاطب، فاللغة الجميلة تجعلهم يعيشون الجمَال ولا يتأذّون أو تتزعزع كرامتهم، وهذا يعمل على إبقاء ماء الكرامة جاريًا في وجوهم، فيعيشون الحياة معززين مُبجّلين.

ومن هنا وجدْنا الإمامَ يؤكّدُ على تبادُل الكلامِ الحسنِ مع النّاس بصورةٍ عامّة، وأنْ يُقالَ الجميلُ اللطيف الخالي من الألفاظ النّابية أو المُسيئة، فيقول عليه السلام: ((قولوا للنّاس أحسنَ ما تُحبّونَ أنْ يُقال لكم، فإنّ اللهَ يبغضُ اللعّان السّبّاب الطّعّان على المؤمنين، الفاحش المتفحّش، السّائل الملحف، ويحبُّ الحيي الحليم العفيف المتعفّف))[١٤٣].

هذا الحديث قصرَ المخاطبة مع الناس على الحُسنى فقط، وقد ذُكرَ قبلُ أنّ النصيحة للأخ يجب أنْ تكون كنصيحتنا لأنفسنا، ومرة نجد الانطلاق من النفس بأنْ نقول للإنسان ما نحب أنْ يُقال لنا، ولا شكّ أنّ الإنسان يحبّ سماع الطّيب من القول فيه، فعليه لذلك أنْ يقولَ الطّيب للنّاس؛ فهم إخوته وهم نفسه، فعليه أنْ يُسمعَهم ما تمنّاه؛ ففرحُهم من فرحِه.

وأكّد الإمام عليه السلام أنّ اللغة القبيحة ليستْ من شأنِ الكرام، بل هي من فعل اللئام، وقد نقل عنه الذهبي: ((سلاح اللئام قبح الكلام))[١٤٤]، ولما كانت اللغة بهذا القدر من المكانة أكد الامام الضرورة على حفظ اللسان والسيطرة عليه وأن لا يترك له العنان بقوله عليه السلام: ((إنّ هذا اللسان مفتاح كل خير وشر، فينبغي للمؤمن أن يختم على لسانه كما يختم على

ذهبه وفضته، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: "رحم الله مؤمناً أمسك لسانه من كل شرٍّ فإنّ ذلك صدقة منه على نفسه"))[١٤٥].

نخلص من هذا أنّ اللغة المؤدبة والمؤنسة سبيل إلى قيام المجتمع الصالح المجتمع المتآخي المتراصّ، وقد روي ((انّ رسول الله (صلى الله عليه (وآله) وسلم) قال: يا بَني عبدِ المُطلب أطْعموا الطعام وأطيبوا الكلام))[١٤٦]، وهكذا نفّذ الإمام وصيّة جده بأنْ جمعَ الإحسان في الفعل والقول، وما وجدنا في سيرته مثقال ذرة يخدش بطيب لغته أو فعله[١٤٧]، ومن هنا فليس عجيبًا أنْ نجد في أسفارِهم لأذنِ العبد - مثلما لبطنه - حظًّا من الإكرام.

ـ طائفة رائعة من أحاديث العلاقات الانسانية.

في السيرة الذهبية للامام الباقر نجد الغنى الانسانيّ واضحًا، ففي كلامه ما يحقق السعادة التامة والرفعة الانسانية، فمثلا هدانا الإمام عليه السلام إلى باب التّحابُب بقوله: ((تبسُّم الرّجل في وجه أخيه حسنةٌ وصرفُ القَذى عنه حسنة، وما عُبِدَ اللهُ بشيءٍ أحبّ إلى اللهِ من إدخالِ السّرور على المؤمن))[١٤٨]، فأفضل عبادة لله ليست هي الصلاة او الصوم او التنسك... انّها ادخال السرور على المؤمن، أقول هل بعد هذا الحديث من انسانية تذكر؟!

وربّما يغيب الأخ عن أخيه وهنا تجبُ المواصلة والذّهاب إليه في بيته وزيارته زيارة طيّبة، يقول عليه السلام: ((إنّما شيعة علي عليه السلام المتباذلون في ولايتنا، المتحابّون في مودّتنا المتزاورون لإحياء أمرنا الّذين إذا غَضِبوا لم يَظلِموا، وإذا رَضُوا لم يُسرِفوا، بركةٌ على من جاوروا، سلمٌ لمن خالطوا))[١٤٩].

ومثلما فرِضَت صلة الرحم فُرِضَ أيضًا التّواصل والتّزاور[١٥٠]، فالتزاور دليل على الانتماء إلى الإسلام الصّحيح الإسلام الذي أراده النبيّ المصطفى. ونلحظ في الحديث الإماميّ ترسيخ أنْ يكونَ (لإحياء أمرنا)، ويمكنُ أنْ نفهمَ من ذلكَ أنْ تكونَ الزّيارة مثمرةً بأهلِ البيتِ معدن القرآن؛ كي تكونَ تلكَ الزيارة ذات فائدة خالية من الغيبة والانتقاد والتحاقد والاستهزاء بالآخر، تكون خالية من خطوات الشّيطان، وهذا هو لُبّ العلاقات الإنسانية المكتظة بالحسنى؛ لأن من يُزار يجدر أن نحمل إليه معنا باقة من الحسنات.

وإذا كان الحسد أو العداء أو التّخاصُم يقع بين المتجاورين بحكم تقاربهم واحتكاكهم؛ فإنّ الإمام الباقر عليه السلام في ذيل النص السالف يقرر أنّ هذا ليس ثوبَ مَن انتمى إلى الإسلام

الحقّ؛ لأنّ من ينتمون إليه إنما هم ((بركة على من جاوروا، سلمٌ لمن خالطوا))، فهم بأخلاقِهم الحسنة وأفعالهم الطّيبة غدوا بركةً على جيرانِهم، ولم يكونوا في يوم من الأيام ليخاصموا أو ينازعوا، بل حتّى إذا أسيء إليهم فهم يحلمون؛ لأنّهم يحملون الأخلاق الحسنة والتقوى السّامية التي أهلتهم لأنْ يكونوا خير سفير للعلاقات الانسانيّة مع الآخرين، إنّ تلك التقوى جسّدت فيهم ((روح الأخوة العامّة في كلّ العلاقات الاجتماعيّة بعد محو ألوانِ الاستغلالِ والتسلّط، فما دام الله سبحانه وتعالى واحداً ولا سيادة إلّا له، والنّاس جميعاً عبادُه ومتساوون بالنّسبة إليه، فمنَ الطّبيعي أنْ يكونوا أخوةً متكافئينَ في الكرامة الإنسانيّة والحقوقِ كأسنانِ المشط... ولا تفاضلَ ولا تمييزَ في الحقوق الإنسانيّة))[١٥١]، هكذا هو ما تعمله التقوى في أهلها. وهذا ما تجنيه الأخلاق الحسنة لهم.

وقد نقل إلينا التاريخ ما يفعله الحلم من مزية مهمة في سبيل بسط العلاقات الإنسانية والتأثير بالآخرين نحو الحُسنى، فقد جاء أنّ نصرانيًّا قال للإمام الباقر عليه السلام: ((أنت بقر؟ قال: أنا باقر، قال: أنت ابن الطباخة؟ قال: ذاك حرفتها، قال: أنت ابن السّوداء الزنجية البذية، قال: إن كنت صدقت غفر الله لها، وإنْ كنت كذبت غفر الله لك. قال: فأسلم النصرانيّ))[١٥٢]، أقول هذا ما يفعله الخلق الحسن بأهله، فهو نعمة لهم ولخصومهم أيضًا، فعدم مجابهة الخصم السيئ بالمِثْل قادَ إلى كسب الخصم لأنْ يكون حميمًا.

إنّ كلّ جملة من جمل النّصرانيّ كان يقصد فيها جرح الإمام؛ فبدأ باللقب وعكسه إلى لقب غير مؤدّب فما كان من الإمام إلّا أنْ يعيدَ عليه تصحيح اللقب؛ فإذا كان النصرانيّ قد أنزل نفسه منزلة الخصم اللدود فإنّ الإمام أنزل نفسه منزلة المعلم الحنون على تلميذ ذي مستوى ضعيف، وحين عمد النّصرانيّ إلى جرح الإمام بأمّه تجاهل الإمام مقصده، ووجه ما قاله عن أمّه (عليه وعليها السلام) وجهة تتناسب مع النساء، ولما رأى النصرانيّ قدرة تحمّل الإمام اتجه اتجاهًا متصاعداً في الإساءة بخطابه، فذكر تلك الألفاظ المشؤومة، فكانت الصّاعقة التي ألهبت مشاعره، وهي أنّ الإمام بقيَ على تحنّنه، يحلم ويتلطّف بوجه تكلّلَ بروعة الإسلام؛ فبدلًا من أنْ ينفجر ويرد التّجاوز السيئ تجاهَلَ وتغافَلَ، وقد مرّ علينا أنّ التعايش يكون بالتّغافلِ أحيانا، فردّ بأسمى وأزكى جواب: ((إنْ كُنْتَ صَدَقْتَ غفرَ اللهُ لها، وإنْ كنتَ كذبتَ غفرَ اللهُ لكَ)).

إنّ الإمام موقن ببهتان النّصراني، ولكنّه عاملَه معاملةَ الشاكّ غير الموقن، لإضفاء الاحترام على زعمه، وهذا يجعل المخاطَب (النصراني) يتضعضع؛ لأنّه يرى نفسه محترمًا في الوقت الذي يدرك فيه أنه إنسان مرتكب على الآخر وغير صادق بزعمه البتة.

لقد ورد في كلام الإمام ما يُعرَفُ الآن بـ (مبدأ التأدب) أحد مفاهيم الخطاب عند غرايس[١٥٣]، فالخطاب لا ينجح بل ينقطع ويتحول إلى عداءٍ إذا انتفى ذلك المبدأ، ومع أنّ النصرانيّ انتفى عنه ذلك المبدأ بيدَ أنّ الخلق الإمامي ذا الأدب النبويّ عدَلَ بالخطاب إلى أنْ يكون مثمرًا، فأدبُ الإمام غلَبَ وقاحة النّصرانيّ؛ لأنّ الحقّ أعلى من الباطل، وان القوة تكمن في اللغة الطيبة لا في اللغة العنيفة.

ويؤكّد عليه السلام على التكافل الاجتماعي في كلامه، وقد روي عن جابر أنّه قال: ((دخلتُ على أبي جعفر عليه السلام ــ ونحن جميعًا ما قضينا نسكنا ــ فقلت: أوصِنا يا ابنَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام: ليُعِنْ قويُّكم ضعيفَكم، وليعطفْ غنيُكم على فقيرِكم، ولينصحِ الرّجلُ أخاهُ كنصيحتِه لنفسِه))[١٥٤]، فالضعيف يحتاجُ إلى عونِ القويِّ، والفقير به حاجة إلى عطفِ الغنيّ؛ كي تستقيم المحبّة وينضج الإخاء.

ونجد في (ولينصحِ الرّجلُ أخاهُ كنصيحتِه لنفسِه) رؤية الأخ بذاتنا؛ فالأخ هو النّفس، والنصيحة له يجب أنْ تكون صادقة كصدقنا لأنفسنا.

ونجد في درر كلامه عليه السلام ما فيه تتكرس العلاقات الانسانية مع الآخر، وذلك في التّجنيب من سمة الكبر كونها تمنع الإنسان من مخالطة الآخرين ؛ يقول عليه السلام: ((إياك والكبر، فإنّه داعية المقت، ومن بابِه تدخُلُ النّقم على صاحبه، وما أقلّ مقامه عنده، وأسرع زواله عنه))[١٥٥].

إن دواعي المقت للإنسان كثيرة، وواحدة منها التكبر على الآخرين، فهي تجعل الآخرين ينفرون منه لتعاليه عليهم ويأنفون من معاشرته، فيعيش منبوذًا من دون أنْ يشعر، ولهذا فهو فاشل في عمله وفي حياته وفي كل امر يتوقف على التعاشر. حتى ان الناس إذا صاحبوه فإنما هو مجاملة باللسان لا معاقدة بالجنان.

أقول إنّ كثرة الحديث الإماميّ بتثبيت الأخلاق النّبيلة من أجل تنمية الأنس بالآخر

لَدليلٌ على أنّ ذلك كان من أمهات أفكار الإمام، ولنختم بحديث له عليه السلام يترجم فيه عن السّجايا الحميدة وصولًا إلى السّلامة في الدين والدنيا؛ إذ يقول: ((بالرّفق والتودّد تحبّك القلوب، وبحُسنِ اللقاءِ يألفك الثناء، وبإيثارك على نفسك تستحق اسم الكرم، وبالصّدق والوفاء تكون للنّاس رضى، وبترك الإعجاب تأمنُ مقتَ ذوي الألباب، وبتركِ ما لا يعنيك يتمّ لك الفضلُ، وبالتّواضع تُنالُ الرّفعةُ))[١٥٦]. أليست هذه السجايا يحتاجها الجميع سواءً؟ يحتاجها السّيد والمسود، والغنيّ والفقير، والقائد والمقود، يحتاجها الطبيب والمريض، يحتاجها رئيس الدولة وعامل النظافة، يحتاجها المؤمن والكافر، إنها السبيل الأمثل لجعل الإنسان قادرًا على معاشرة مَنْ حولهُ برفاهيةٍ وسعادةٍ.

المبحث الثالث

النتائج العظمى للعلاقات الانسانية مع الأسرة الصغيرة والكبيرة (المجتمع)

لكل عمل ثمرة تُجنى، وثمارُ الأشجارِ الصالحةِ النّابتةِ بأرضٍ طيبةٍ صالحةٌ وطيبةٌ كذلكَ، وفيما سبقَ تبيّنت الفوائد الجمّة للعلاقات الإنسانيّة عند إمام العلم الإمام الباقر عليه السلام، وهنا تفصيل لما سبق أو تتميم له.

إن المتأمل في تلك العلاقات يجد أنها سبيل للأجر الدنيويّ والأخرويّ معًا؛ ذلك لأنّ الإسلام ليس مقصورًا على الآخرة فقط بل هو للدنيا أيضًا، ومن هنا رأينا أحاديث الإمام مع أنّها تركز على الفضل الأخرويّ إلا أنّها لم تنس حظها من الدنيا، ومن ذلك قوله عليه السلام: ((مَنْ أعطيَ الخلق والرّفق فقد أعطيَ الخير والرّاحة، وحسُنَ حالُهُ في دُنياه وآخرته، ومن حُرِمَ الخلق والرّفق كان ذلك سبيلاً إلى كل شر وبليّة إلّا مَنْ عصمَهُ اللهُ))[١٥٧]، إنّ صاحبَ الخلق الحسن الرّفيق بالنّاس لا يعني أنّهُ خلوقٌ وليّنٌ مع النّاس فحسب، بل يعني أنّه إنسانٌ مُنعَمٌ بالخيرِ وبراحةِ البال، فحالته النّفسيّة سليمة جدًّا، وهو سائر في سبيل السّعادة في الدّنيا وقدمُهُ على الطّريق الذي يُوصله لسعادة الآخرة، فإذا لم يكن الإنسان كذلك من خلق حسن ورفق في التّعامل فليستعدّ للعناء والبلاء ولخسارة الدّارين إلّا إذا شاء الله غير ذلك.

إنّ ابرز أسباب قيام الاسرة السليمة والمجتمع الناجح هو الإنسان الإنساني ظاهرًا وباطنًا؛ لأنّه إن فعل ذلك ونفع أخاه مال إليه النّاس، وسادَ عليهم، وأصبح مرموقًا فكان شخصيّة قويّة محترمة وكما قال القائل[١٥٨]:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبدَ الإنسانَ إحسانُ

وهذه القاعدة مهمة جدًا في خلق أسرة رائعة ومجتمع راقٍ جدّا؛ لأنّه إذا كانَ كلُّ فردٍ كذلكَ، يتسابقُ لأجل الإحسان إلى الآخر فسينتج أسرة جميلة ومجتمعا مثاليّا خاليًا من الضّغينة، تسوده الطمأنينة والمحبّة.

ومر أن الامام عليه السلام قد هدانا إلى باب التّحابُب بقوله: ((تبسُّم الرّجل في وجهِ أخيه حسنة وصرف القذى عنه حسنة، وما عبد الله بشيء أحبّ إلى الله من إدخال السّرور على المؤمن))[١٥٩]، ويقول أيضًا: ((البشر الحسن وطلاقة الوجه مكسبةٌ للمحبّة وقربةٌ من الله. وعبوسُ الوجهِ وسوءُ البشر مَكسبة للمقت وبُعد من الله)) [١٦٠]، فبابتسامة الإنسان بوجه أخيه وحسن بشره ينال منفعة كبيرة؛ فله من الأهل والنّاس المحبّة ومن الله القُربة، وقد نقل لنا الدكتور إبراهيم الفقي ما يبين الرّبح الصّحيّ والنفسيّ والأخرويّ بسبب التبسّم في وجه الأخ بقوله: ((هل تعلمُ أنّ وجهك يُوجَدُ فيه ٨٠ عضلة، وبمجرد أنْ تبتسمَ فقط فإنّك تستخدمُ ١٤ عضلة، وكلّ عضلة في الوجه مرتبطة بخلايا عقليّة، والخلايا العقليّة في المخ تريح الجسم، فعندما تبتسم يرتاح الوجه ويسترخي، وبالتالي يسترخي المخ، وعندما يسترخي المخ يسترخي الجسم كلّه، وبالتّالي تزدادُ كمية الأدرينالين... المادّة التي تزيد من قوّة جهاز المناعة في الجسم، وليست هذهِ هي نتيجة الابتسامة فحسب، ولكن الابتسامة مُعدية؛ فالشّخص الآخر عندما يرى وجهك يبتسم ويرتاح ويسترخي فيبتسمُ هو الآخر... فالابتسامة مُعدية، وبمجرد أنْ تبتسمَ أكثرَ من مرّةٍ تجدُ أنّ الشّخص بدأ يبتسم معك، وعندما يبتسم... فكلّ جزءٍ فيه ارتاحَ واسترخى؛ فتأخذ حسنات على كلّ مكان بداخله، تأخذ حسنة من الكبد، وأخرى من الطّحال، وثالثة من الكلى...، وهكذا كلّ مكانٍ تأخذ عليه حسنات، وهذا يُسمَّى عند علماء الصّين (الابتسامة الداخلية)، وهذه الابتسامة الدّاخلية عندما قام العلماء بالبحث فيها وجدوا أنّها تولِّدُ حامضًا يسمّى (الجليكوجين)، هذا الحامض مثل العسل الأسود، فتخيَّل أنّك عندما تبتسمُ تولد هذا لنفسك، وعندما تجعلُ الشّخص الآخر يبتسمُ تولّد هذا الحامض بداخله، وبالتّالي فإنّ تبسمك في وجه هذا الشّخص ليس هو الذي تأخذ عليه حسنة فقط، ولكن كلّ مكان بداخلهِ تأخذ عليه حسنة؛ لأنّها ارتاحت، وعندما ارتاحت أصبحت أفضل، وبالتالي أصبحت صحتها أفضل، وعندما أصبحت صحتها أفضل فبالتالي هي تدعو لك عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ))[١٦١].

إنّ ما أكّده الإمام من وجه بشوش، رحب بالتبسّم، وافقه العلم الحديث وأقرّت الأمم الأخرى كالصّين على ما جاء به. وقد أعرب عن بيان فضل لغة البِشْر كي يجيدها كلُّ البَشَر، فهي اللغة المؤثرة البليغة التي يجدر أنْ تسود في المجتمع؛ فبسيادتها سيادة المحبّة، وفيها مقربة من الله تعالى. فيها الحسنى مع الناس والحسنات من رب الناس.

وفيما يأتي نسرد طائفة من الاجر المترتب على العلاقات الانسانية الطيبة في الاسرتين الصغيرة والكبيرة لتكتمل الفائدة من البحث، وندرك المنفعى العُليا من العلاقات الانسانيّة السّامية.

ـ العاقبة الحسنة للاحسان مع الأهل

أوّل العلاقات الإنسانية الجميلة تكونَ مع الأهلِ، ففيها من الفوائد ما تطيبُ به النّفس؛ فعنه عليه السلام: ((من حسنَ برُّهُ بأهلهِ زيدَ في عمرهِ))[١٦٢]، فالأهل هم المجتمع الأصغر الّذي ينتمي إليه الفرد، والبرّ بهم يعني خلق مجتمع صغير ناجح مُحسن سليم من الكدر والشّوائب، وهو بهذا يعود بالخير على الفرد نفسه من جهة أنّه سيزيد في عمر البارّ بأهله، وربّما كان ذلك مُجازاة من الله أو لأنّهُ نتيجة فعليّة لفعله الحسن مع أهله؛ إذ سيعيش ناعم البال طيّب الأحوال، وهذا يقلّل منه الهموم والآلام ومن ثم يؤدّي إلى صحّة بدنهِ، وصحّة بدنه تجعله يعيش أكثر ممّن كان موطِنًا للعلل والأوجاع.

إنّ الأسر الآن تعاني من مشكلات فيما بينها، ونتيجة ذلك كثرت التقاطعات، ورب الأسرة هو ربانها الأول فعليه أنْ يسير بها نحو شاطئ الأمان، ولا يرمي بمسؤوليته على عاتق الزمن، إنّ ربّ الأسرة به حاجة إلى أنْ ينهل من دواء أهل البيت؛ كي يمكنه من علاج أمراض نفسه وأسرته. وهو في ذلك سيحظى بالفائدة العظمى لنفسه ولأهله وللمجتمع الذي سيتنعّم بفضائل تلك الأسرة.

ـ العاقبة الحسنة للاحسان مع الأقارب

كم رأينا مسبقا كيف أنّه عليه السلام يؤكّد على الأقارب والتّركيز على صلة الرّحم، ولأجل بثّ ذلكَ كانَ يجود ببيانِ الفضائلِ للمُحسنِ مع أقربائهِ، فمرّة نجد صلة الرحم زيادة في العمر، فقد قال عليه السلام لبعض أصحابه: ((أمَا أنه قد حضر أجلك غير مرة ولا مرتين، كل ذلك يؤخر بصلتك قرابتك)) [١٦٣].

ومرة نجدها زيادة في عدد أموال الواصلِ رحمه، وذلك في قوله عليه السلام: ((إنّ أعجلَ الطّاعة ثوابًا لصلة الرّحم، وإنّ القوم ليكونون فُجّارًا فيتواصلونَ فتُنمى أموالهم ويثرون. وإنّ اليمينَ الكاذبة وقطيعة الرّحم ليذران الدّيار بلاقع من أهلها))[١٦٤]، ومحل شاهدنا هنا هو ما تفعله صلة الرّحم بصاحبها وبأهلها، فالنّاس الذين يصلون رحمهم يتزايدون مالًا بفضل من الله، وإذا ما قطعوها كانت النتيجة ديارا بلاقع.

تصور أنّهم يثرون حتى إذا كانوا (فجّارًا) معَ ما لهذهِ اللفظة من فجاجة، فالفجور أعاذنا الله منه مثلما يذكر ابن منظور من ((أفْجَرَ إذا كذب، وأَفْجَرَ إذا عصى، وأَفْجَرَ إذا كفر... وفَجَرَ الإنسانُ يَفْجُرُ فَجْراً وفُجوراً انْبَعَثَ في المعاصي))[١٦٥] من عهر وزنى وكلّ ما يستقبح ذكره، وكأنّه أعلى درجات الفساد، ودقة التعبير الإمامي أنّ اللفظ جاء على صيغة جمع التكسير (فُعّال) فقال (فُجّار)، ولم يؤتَ بالفاجرين أو الفجرة؛ وذلك لأنّ وزن (فُعّال) يستشعر منه الكثرة المفرطة في وقوع الحدث (الفجور)، أي مع كل ذلك الفجور الشّديد المبالغ فيه نجد أنّهم نالوا الثّراء بسبب تواصلهم وتبارهم فيما بينهم، وهذا يؤكد فضيلة التعايش وأنّه من أبواب الرزق لمن أراد الرزق.

ولا يقف الأمر على زيادة الرزق وخصوصًا مع ذوي الرحم؛ إذ يتعدّى إلى فوائد جمّة، وذلك يظهر في كلامه عليه السلام: ((صلة الأرحام تزكّي الأعمال، وتنمّي الأموال، وتدفعُ البلوى وتيسّر الحساب وتُنسئ في الأجلِ))[١٦٦]. فبها ــ فضلًا عن الغنى ــ نجد أنّ الأعمال تزكو وتطيب مع دفع البلوى وتيسير الحساب وطول الأعمار، وهذه الفوائد الدنيويّة والأخرويّة والزّيادة في الأموال والآجال جاءت من عمل ليس وراءه كبير جهد، وانما فعل بميسور الإنسان. فالرحم باب للدنيا وللآخرة، وهي أيضا طريق سالك لهما، قال عليه السلام: ((ثلاثة من مكارم الدنيا والآخرة: أنْ تعفو عمّن ظلمك، وتصلَ من قطعَكَ، وتحلم إذا جُهِلَ عليك))[١٦٧].

ـ العاقبة الحسنة للاحسان إلى الصديق

إنّ الإحسان إلى الصديق أمر حثّ عليه القرآن وأكّدته السنّة وكذا الأمر عند الإمام الباقر، وقد روي: ((كان أبو جعفر عليه السلام يقول: عظّموا أصحابكم ووقّروهم، ولا يهجم بعضُكم على بعضٍ))[١٦٨]، وقد عرّف لنا الإمامُ الصّديقَ بما لم نجد أحداً يبيّن ذلك المفهوم؛

فقد روي عنه: ((أيدخل أحدكم يده في كمّ صاحبه فيأخذ حاجته من الدنانير والدراهم؟ قالوا: لا، قال: فلستم إذن بإخوان))[١٦٩]، فالأخ عنده من يستباح له مال أخيه من باب المودة والتحابب. ونجد هنا مثل ما ذكرنا أنّ الإمام يعبر عن الصّديق بالمسمى (الأخ) ذلك لأن ألفاظ القرابة قد أضفاها الإمام حتى على غير الأقارب من أجل التأسيس لمجتمع إسلامي متراص متآخٍ.

ويرسم لنا الإمام عليه السلام العاقبة التي تجنى في حالة التخاذل مع الصديق بقوله: ((ما من عبد يمتنع من معونة أخيه المسلم والسعي له في حاجته قضيت أو لم تقضَ إلا ابتلي بالسّعي في حاجةِ مَنْ يأثم عليهِ ولا يُؤجَرُ، وما منْ عبدٍ يبخل بنفقة ينفقها فيما يرضى الله إلا ابتلي بأنْ يُنفقَ أضعافها فيما أسخط الله))[١٧٠].

فالحذر لمن لم يساند صديقه أو بخل عليه؛ فانّه سيندم لأنّ ما وفّره من جرّاء بخله على صديقه سيذهب سدى في خطب سيلمّ به. ونجد الإمام يذم وينتقد كلَّ منِ انتهج هذا المنهج، وذلك أنّه ((شكا الحسن بن كثير إليه الحاجة فقال: بئس الأخ أخًا يرعاك غنيًّا ويقطعك فقيرًا، ثم أمر غلامه فأخرج كيسًا فيه سبعمائة درهم فقال: استنفق هذه فإذا نفدت فاعلمني))[١٧١]، ومثله في قوله: ((أيّما مسلم أتى مسلما زائرا أو طالب حاجة وهو في منزله، فاستأذن له ولم يخرج إليه لم يزل في لعنة الله حتى يلتقيا))[١٧٢].

إن الانفاق سبيل لتحقيق الكرامة الاقتصادية بين أطياف المجتمع، ولا شكّ أنّ ((الكرامة الاقتصاديّة تورث الكرامة الاجتماعيّة))[١٧٣]، إي إنّه بما يحصل عليه العيال وكذلك الفقراء والمعوزون من أموال سيعملون بها على توفير مستلزماتهم، فيغدون لذلك طبقة مثمرة في المجتمع، وهذا يقود الجميع بمن في ذلك الفقير أو المسكين إلى أن يكون إنسانًا حيويًا.

أما إذا ترك الفقير من دون عَونٍ فإن هذا أول التعطيل لفئة كبيرة في المجتمع، بل ربّما كان فقرُ الفقير في المجتمع سببًا لأنْ يقوده إلى أنْ يكون إنسانًا عدائيًا، والعدوانيّة هذه تنعكس على سائر طبقات المجتمع فانعدام الأمن يقود إلى انعدام الرزق وتوقف السوق، بل توقف التقدم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ (البقرة: ١٢٦)، فقدّم الأمن على الرزق؛ لأنّ الثاني يقوم على تحقق الأول. إن شيوع الأمن يعني شيوع الحياة. وذلك لأنّ مساعدة الفقراء والمساكين لا تقف على الفرد المساعَد فقط، بل على البلد

برمته؛ لذا وجب على البلد الذي يريد أنْ يكون عزيزاً مصانًا قويًا مقدراً وجب عليه أنْ يعتني بالطبقة المعدمة من الارامل والايتام والمساكين.

وبعد أن رأينا عاقبة البر بالأهل والاقارب نجد التأكيد على كسب الأخ الصالح، فقد ((قال عليه السلام من استفاد أخا في الله على إيمان بالله ووفاء بإخائه طلبًا لمرضاة الله فقد استفاد شعاعًا من نورِ الله وأمانًا من عذاب الله وحجة يفلج بها يوم القيامة وعزًا باقيًا وذكراً ناميًا؛ لأنّ المؤمنَ منَ اللهِ عز وجل لا موصول ولا مفصول)) [١٧٤]، فإذا كان البر بالأهل تجنى منه ثمرة المال الجزيل والعمر الطويل فهنا نجد ثمرة الاتصال بالله وبفيوضاته، فيعيش العبد بروضة الله تعالى مكتسبًا عزّا ورفعة؛ لأنّ أخاه الصالح يسدده إذا ما أخطأ، ويسعده إذا ما ألمّ به خطب ما.

ـ العاقبة الحسنة للاحسان مع الخصم

أبان الإمام عليه السلام عن ((ثلاثة من مكارم الدنيا والآخرة: أنْ تعفو عمّن ظلمك، وتصلَ من قطعَكَ، وتحلم إذا جُهِلَ عليك))[١٧٥]، إنّ هذه السجايا هي المكارم في الدنيا والآخرة. وهذا ما جسّده الإمام في أفعاله، ففي بعض الروايات نجد سمو الخلق الامامي حتى مع الناصبيّ، وذلك ((انّ ناصبيًا شاميًا كان يختلف إلى مجلس أبي جعفر عليه السلام، ويقول له: طاعة الله في بغضكم، ولكني أراك رجلاً فصيحاً. قال أبو جعفر: لن تخفى على الله خافية. فمرض الشامي فلما ثقل قال لوليه: إذا أنتَ مددت عليّ الثوب فإئْتِ محمد بن علي وسله أنْ يصلي عليّ، قال: فلما أن كان في بعض الليل ظنوا أنه برد وسجّوه، فلما أنْ أصبح النّاس خرج وليه إلى أبي جعفر، وحكى له ذلك فقال أبو جعفر: كلا إنّ بلاد الشام صرد، والحجاز بلاد حر، ولحمها شديد فانطلق فلا تعجلن على صاحبكم حتى آتيكم. قال: ثم قام من مجلسه فجدد وضوءًا، ثم عاد فصلى ركعتين، ثم مد يده تلقاء وجهه ما شاء الله ثم خر ساجداً حتى طلعت الشمس، ثم نهض فانتهى إلى مجلس الشامي فدخل عليه فسقاه بسويق ودعا له، وقال: املؤوا جوفه، وبردوا صدره بالطعام البارد، ثم انصرف وتبعه الشامي فقال: أشهد أنك حجة الله على خلقه... أشهد أني عمدت بروحي وعاينت بعيني فلم يتفاجأني إلا ومنادٍ ينادي: ردوا إليه روحه فقد كنا سألنا ذلك محمد بن علي، فقال أبو جعفر: أما علمت أن الله يحب العبد ويبغض عمله، ويبغض العبد ويحب عمله، قال: فصار بعد ذلك من أصحاب أبي جعفر))[١٧٦].

إن هذه الحادثة تدل على أنّ الإمام لاقى ذلك المسيء المبغض بالحلم، وراح يدعو له لا عليه، وكأنّ: هل جزاء الإساءة إلا الإحسان، فالحُلم يرينا الغريب قريبًا وعكسه الغضب يرينا القريب غريبًا، فكم من شخص كسب أعداءه فصاروا كأقربائه بالود بسبب حلمه؟! وكم من أب فقَدَ أبناءه بسبب غضبه فصاروا له ألدّ أعداءه؟! ألم يتب ذلك الناصبي وأدرك عظمة الإمام بسبب حلمه، وفي المروي عنه عليه السلام من الشعر قوله[١٧٧]:

بـــني إذا مـــا ســـامك الـــذل قـــادر ... عزيـــز فلـــن فـــاللين أولى وأحـــزر

ولا تســـم في كـــلّ الأمـــور تعـــززا ... فقـــد يـــورث الـــذلّ الطّويـــل التّعـــزز

وكشف عن ان العز طريق من حلُمَ مع ظالمه حين قال: ((ما ظلم أحد بظلامة فقدر أن يكافي بها ولم يفعل، إلا أبدله الله مكانها عزًا))[١٧٨].

ـ العاقبة السيئة لعدم مراعاة العلاقات الإنسانية:

رأينا فيما سبق أنّ كثيرًا من المصائب كانت بسبب منْ تركِ العلاقات الانسانية، ومثل ذلك ما جاء في الحديث المذكور: ((عبوس الوجه وسوء البشر مكسبة للمقت وبعد من الله))[١٧٩]، فقد أظهر الحديث الخسران الدّنيوي والأخرويّ للمقطّب وجهه بوجهِ الأهل والنّاس؛ فلا هم يألفونه ولا حتّى الله.

واذا كانت اللغة ابرز وسائل العلاقات الانسانية الطيبة فانّ تقبيحها يعني انتفاء تلك العلاقات، ومن ثَمَّ الوقوع بكلّ رذيلة، وقد أبانَ الإمام العاقبة السّيئة: الدّنيوية والأخرويّة لذي اللغة الفاحشة بقوله: ((من فحش على أخيه المسلم نزع الله منه بركة رزقه، ووكله إلى نفسه، وأفسد عليه معيشته))[١٨٠].

وقد تأكد فيما سبق عظمة انتهاج الاسلام وتعاليمه، وعظمته في دفع الإنسان على بناء الحياة السليمة السعيدة، وليس صحيحًا تلك الادعاءات التي شنت هجوماتها عليه[١٨١]، وذلك أنّه إذا انتهجنا بنهج رجالاته الحقيقيين أمكننا ذلك من أن نضع أقدامنا على الطريق الصحيح، ويكون ذلك باستذكار سيرتهم عليهم السلام وامتثالها وانتهاج اقوالهم نبراسًا في تصحيح المسار.

ملخص الأمر أنّ العلاقات الانسانية الباقرية هي الطريق الرئيس المؤدي الى السعادة في الدنيا والاخرة، ولا سعادة من دونه.

الخاتمة (النتائج والتوصيات):

لله الحمد على جميع نعمه، لله الحمد على ما هدانا إليه من جليل مننه، لله الحمد على ما كنّا فيه من نزهة في روضة إماميّة تفوحُ بالنّقاوة المحمديّة والحفاوة الأبديّة، فإذا ما كان المتنزه يعود براحة مؤقتة فهو هنا يعود براحة تبقى حتى بعد الممات. ومن هنا وجدنا أنّ رياض أهل البيت ليست كالرياض؛ فهي منفعة ورحمة، وهي الدنيا والآخرة، وهي الأدوية لكل أدواء هذا الزمان، بل وجدنا العالَمَ يبحث عنهم وعن اسلامهم، ومن الثمار التي قطفناها من تلك الرياض:

١- من الجدير بالانتباه أنه قد عرف الإمام بعلمه على أن سجاياه الأخرى لا تقلُّ عن فضيلته التي عرف بها. فمثلما ان العلم راج منه بحكم الفسحة الزمنية التي هيّأت المجال له؛ لكي يبث علمه كذلك سمحت عليه المرحلة ان يصلح في مجتمعه بسبب التنوعات الطبقيّة التي ظهرت آنذاك، وفي كل ذلك يقف حلمه الى جانب علمه، ويقف صبره إلى جانب اخلاصه... في سبيل بث العلاقات الانسانية السامية.

٢- العظماء هم مَنْ يتجاوزون معرقلات الحياة، وقد مرّ الإمام بشتّى النّوائب منذ كانَ طفلًا يرى بأمّ عينيه فجائع كربلاء مُروراً بظلامات الأمويّين...، ولكنّه جعلَ من هذهِ النّوائب طريقًا للمناقب.

٣- لقد شهدَ ببراعة الإمام في سبيل بثّ الوئام جميع أقواله مثلما أكّدتها أفعاله، ولقد صادَقَ عليها أصحابه مثلما قررها مَنْ هم على الخطّ الآخر، وقد رأينا ذهول الجاحظ بما حواه الإمام من صلاح الدنيا والاخرة في عبارة واحدة أوجزت في مضمونها بساتين العلاقات الانسانية الناضجة.

٤- أثبت البحث ضرورة بسط العلاقات الانسانية في الاسرة الصغيرة والكبيرة معًا لما لها من فضل في تعزيز الاسرة وتنميتها، وفيها سلامة من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية، فقد أفاد البحث من المنهج الامامي في معالجة كثير من مشكلات المجتمع القائمة على النحو من معالجة العنوسة، ففي التراث الباقريّ نقضي على فوبيا الزواج فضلا عن علاج مشكلة الفقر والتخلف،... ورأينا الاسلام كان حيويًّا فلم يكن رهبانيًّا، ولا مبتذلًا يرغب في التحلل، فالوسطية شعاره، فالعلاقة مع المرأة

يجب أن تأخذ بالنهج الاسلامي الزواج الشرعي المبتنى على النور الاسلاميّ ، والا فالإمراض الصحية والنفسية في الفرد والكوارث الاخلاقية والامراض المزمنة في المجتمع (الأسرة الكبيرة). ومن هنا كان الحث في طلب التزوبج يقع على الفرد وعلى الاهل.

٥- هناك قواعد تنموية في الفكر الامامي وهي التبكير في فعل الخير، واعتماد لغة البِشْر وتعميم مفاهيم الاسرة على المجتمع بل ان بعض الامور التعبدية كالتمسك بالله لا تعني عبادة فقط بل هي سبيل لحب البشرية وتحقيق الانسانية،.

٦- لم تكن العلاقات الانسانية عند الإمام جزئيّة، بل كانت عموميَّة تشمَلُ الإسلام عمومًا، بل حتى غير الإسلام، فهي عالميَّة بمعنى الكلمة، لم تقف عند جدران البيت أو عند حدود جغرافيّة أو انتماءات دينيّة أو ألوان بشريّة أو طبقات مجتمعيّة، كانت للجميع وإن كان متباينًا بحسب المُتعامل معه، وهي مع الأخ المؤمن ١٠٠ ٪ من جهة التّزاور والتّناصح والمساعدة، فالمؤمن هو الأخ وهو النفس أيضًا...، ومع المنافق تكون العلاقات الانسانية مصانعة في اللسان فقط، ومع سائر الأديان كاليهودي مثلا يكون بحسن المجالسة...، أي تكون مع الآخرين بمراعاة جنس المُتعامل معه وبما يتوقع منه.

٧- رأينا دقة الاختيار في استعمال المفردات الباعثة على سمو منزلة العلاقات الإنسانية، حتّى يمكن أنْ تكون هذه اللغة عند الإمام محور دراسة كُبرى. وأثبت البحث الدقة في التعبير الاجتماعي .

٨- يركز النهج الإمامي على قيام الناس بالناس فلا يمكن الإغضاء عن أي طائفة، وإنْ كان التركيز فيه على ذوي الألباب الصالحين في الأمور الاستشارية بحكم ما لديهم من خبرة قادرة على تقويم المجتمع والأخذ به نحو التفوق.

٩- في نهجه تبينت قوة الأواصر بين أبناء المجتمع وكأنهم كلهم أسرة واحدة كبيرة، وهذا من شأنه إقامة كل ما هو راق وجميل في المجتمع؛ فلا عدوان ولا تخاذل ولا تباين طبقي. انّه المجتمع المثاليّ القائم على الأوتاد الرّصينة: هذا ابني وهذه ابنتي، وهذا أخي وهذه أختي، وذاك أبي وتلك أمّي.

١٠- لقد كشف البحث عن أنّ العلم الحديث انسجم مع ما جاء من الإمام الباقر عليه السلام على النحو مما في التبسم وفي إطعام المرأة الحامل تمراً.

١١- كشف البحث عن أنّ المنهج الإمامي كان طريقًا إلى الدنيا والآخرة معًا، كان طريقًا تكتنفه السّعادة والخير الوفير، وقد أبان أنّ العلاقات الانسانية تلك كانت سببًا رئيسًا في إطالة الأعمار وكثرة الأموال وصحة الأبدان مثلما كانت سببًا في نيل الحسنات والأجر الأخرويّ، وإذا كانت الدراسات المعاصرة تجهد نفسها في الابحاث التي تقود الى اطالة العمر، ففي الفكر الامامي الباقريّ ما يختصر عليها الطريق، بل يريها السّعادة في اطالة العمر، فرُبَّ عمرٍ طويل غير مرغوب فيه.

وفي ضوء ما تقدم يقترح البحث ضرورة نشر اللآلي المحمديّة وترجمة مناهجها وإشاعتها على الملأ، وإذا كان قد ثبت فشل القوانين والمنظمات التي دعت إلى بث العلاقات الانسانية كان يجبُ البحث عن البديل، ويقع العبء على الجميع في إضاءة الفكر العالميّ لأجل الاقتباس من نور العترة الطاهرة، فهو القبس الوحيد القادر على إيقاد الحياة السعيدة ومعالجات المشكلات الراهنة على النحو من الطلاق والعزوبة والتفكك الاسري والامراض الزهرية...، وقد أكد الامام الباقر ضرورة نشر معارفهم، فـ ((عن سعد الإسكاف قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام إنّي أجلس فأقصّ وأذكر حقّكم وفضلكم، قال: وددْتُ أنّ على كل ثلاثين ذراعًا قاصًّا مثلك)) [١٨٢]

لذا ندعو ونؤكد أنْ تتخلل المناهج الأكاديمية هذا السيرة الوضاءة؛ لأن المناهج النبيلة تخلق بلداً نبيلًا؛ ليكون الجيل القادم واضعًا أقدامه في طريق النجاح والفلاح في كل شيء، وقد ((سئل أحد السياسيين رأيه في مستقبل الأمة فقال: ضعوا أمامي مناهجها أنبئكم بمستقبلها)) [١٨٣].

هوامش البحث

(١) رسالة الأخلاق: ٢٠ ـ ٢١.

(٢) نحو أسرة سعيدة: ٧٧.

(٣) بحار الانوار: ١٢٦/٥٢.

(٤) الكافي: ٣٩٩/١.

(٥)اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ٤٧٦/٢.

(٦) جمهرة خطب العرب: ١٥٧/٢، وتتكرر فكرة هذا الحديث عند الامام في حديثه مع الازهريّ ((يا أزهري أما عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك وتجعل تربك بمنزلة أخيك فأي هؤلاء تحب أن تظلم وأي هؤلاء تحب أن تدعو عليه وأي هؤلاء تحب تهتك ستره))، بحار الانوار: ٢٣٠/٨٦ .

(٧) ديوجينس: فيلسوف وحكيم ياباني عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، كان يجوب الطرقات حاملا ذلك المصباح باحثا عن الانسان الذي تتمثل فيه المثل الانسانية .

(٨) مواقف الأسرة العربية من اضطراب الطفل: ١٣.

(٩) وكثيرا ما نجدها في الدراسات التربوية على النحو من كتاب: إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية للكاتب عادل حسن، وقد نجدها في دراسات التنمية البشرية من مثل كتاب المهارات الاساسية في العلاقات الانسانية للدكتور رأفت عثمان

(١٠) ينظر: الإدارة التعليمية ـ أصولها وتطبيقاتها ـ: ١١٧ ــ ١١٩.

(١١) ينظر: الإدارة المدرسية ـ مبادئها وعملياتها ـ: ١١٠ ــ ١١١.

(١٢) ينظر: نحو تطوير الإدارة المدرسية ـ دراسات نظرية وميدانية ـ: ١٢، ١٢ ، و الإدارة المدرسية: ٨٨ ـ ٨٩، وإدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية: ٢٦.

(١٣)ينظر: الإدارة والإشراف التربوي بين النظرية والتطبيق: ١٧ ــ ١٩.

(١٤)إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية: ٢٩.

(١٥) كيف تُسعد حياتك الزوجية: ٩.

(١٦) مواقف الأسرة العربية من اضطراب الطفل: ١٠.

(١٧) نحو أسرة سعيدة: ٥٨.

(١٨) History of marrage and family ,Goodsell , New York , 1955 , 23 نقلا من كتاب: مواقف الأسرة العربية من اضطراب الطفل: ٢٢.

(١٩) شجرة الحضارة: ٦٥/١.

(٢٠) مختصر دراسة للتاريخ: ٣٥٣/١.

(٢١) التذكرة الحمدونية: ٣٥٤/٤، وينظر: البداية والنهاية: ٣٤١/٩.

(٢٢) ينظر: تاريخ مواليد الأئمة: ٢٦.
(٢٣) ينظر: إعلام الورى في أعلام الورى: ٤٩٨/١ .
(٢٤) إعلام الورى في أعلام الورى: ٤٩٨/١ .
(٢٥) ينظر: مناقب آل أبي طالب: ٣٢٨/٣.
(٢٦) لسان العرب: ٧٣/٤ .
(٢٧) مناقب آل أبي طالب: ٣٢٩/٣ .
(٢٨) الإرشاد: ١٦٧/٢ .
(٢٩)حياة الحيوان: ١٩٨/١.
(٣٠) الدعم النفسي ضرورة مجتمعيّة: ٨.
(٣١)اعلام الهداية: ٤٨/٧.
(٣٢) الدر النظيم: ٦٠٨.
(٣٣) الكُتّاب: مكان يجتمع فيه الصبية للدّراسة.
(٣٤)مناقب آل أبي طالب: ٣٢٨/٣، وينظر: مطالب السؤول: ٤٣١.
(٣٥) مناقب آل أبي طالب: ٣١٤/٣ ــ ٣١٥.
(٣٦) بصائر الدرجات: ٥٥.
(٣٧) مناقب آل أبي طالب: ٣٤٠/٣، ولا يخلو أنْ يكون هذا بطلب من هشام بن عبدالملك، إذ كان هو الخليفة في وقتها.
(٣٨) ينظر: تاريخ مواليد الأئمة: ٢٦.
(٣٩) الفصول المهمة في أصول الأئمة للعاملي: ٦٩/٣.
(٤٠) تكوين الأسرة في الإسلام: ٢٥.
(٤١) الخصال: ١٦٢ ، وينسجم اللهو هنا مع التعبير عن المرأة باللعبة في قول الامام الباقر: ((من اتخذ امرأة فليكرمها فإنما امرأة أحدكم لعبة فمن اتخذها فلا يضيعها)) بحار الانوار: ٨٥/٧٣.
(٤٢) اذ اقترن ذكر الوالدين بالله تعالى في اربع مواضع: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (البقرة:٨٣)، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (النساء: ٣٦)، ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الأنعام:١٥١) ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الاسراء: ٢٣).
(٤٣) ((حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثلاثٌ: النِّساءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلاةِ)) الخصال: ١٧١/١.
(٤٤) ينظر: كيف تسعد حياتك الزوجية: ١٥.
(٤٥) الكافي: ٥٠٩/٥ .
(٤٦) في هذا رسالة الى النساء التي تؤخر الزواج أو تعرض عنه بسبب طلب الدراسة واتمامها.

(٤٧) تكوين الاسرة في الاسلام: ٣٨.
(٤٨) تكوين الاسرة في الاسلام: ٣٦.
(٤٩)العنوسة وخطرها على المجتمع (بحث منشور): ٩.
(٥٠) قرب الاسناد: ٢٠.
(٥١) الكافي: ٤/٦ .
(٥٢)الفوبيا (Phobia) هي: الرهاب او الخوف من المجهول في امر ما، وهي كلمةً يونانية الأصل وتعني "الخوف من"، وقد دخلت اللغات الأوروبية، ومنها الإنكليزية، ككلمةً موصولةً مع ما يُراد وصف حالة الخوف المرَضي منه، كالخوف من الزواج .
(٥٣) ينظر: فوبيا الزواج: ٩٠.
(٥٤) بحار الانوار: ١٨٣/٧٥.
(٥٥) الكافي: ٣٤٧/٥ .
(٥٦) بحار الانوار: ١٧٨/٧٥.
(٥٧) نحو أسرة سعيدة: ١٣٠.
(٥٨) المهارات الأساسية في العلاقات الإنسانيّة: ١٧.
(٥٩) حلية الأولياء: ١٨٤/٣.
(٦٠) نحو أسرة سعيدة: ٣٥ .
(٦١) ينظر: شرح العروة الوثقى: ٢٢١/١.
(٦٢) ينظر: معجم المقاييس في اللغة: ٦٤٥.
(٦٣)تحف العقول عن آل الرسول: ٢٠.
(٦٤) المحاسن: ٢٩٢/١ .
(٦٥) الكافي: ٥٢١/٥ ، كثيرا ما نجد الامام الباقر بل الائمة بصورة عامة يشجعون على قضية او ينكرونها بسرد ما جاء عن آبائهم أو عن جدهم المصطفى (عليهم السلام جميعا)، وما ذلك الا للدلالة على انهم نور واحد، وحبل الاعتصام قائم فيهم جميعًا.
(٦٦) نحو أسرة سعيدة: ٤١.
(٦٧) الفصول المهمة في أصول الأئمة للعاملي: ٤٣٨/١.
(٦٨)أستاذة متخصصة بعلم النفس بلندن تدربت باحثة نفسية في كيز وعملت مرشدة ومعالجة نفسية في معهد التحليل البريطاني ونشرت بحوثا كثيرة عن العلاج النفسي، ينظر: ابنك المراهق كيف تفهمه وترعاه (مقدمة الناشر): ١٠ ــ ١١.
(٦٩)ابنك المراهق كيف تفهمه وترعاه: ١٤٢.
(٧٠) رؤية إسلامية للمسائل الاجتماعية: ٦٦.

(٧١) المحاسن: ١٠٧/١.
(٧٢) الكافي: ٤٤٧/٦.
(٧٣) تاج العروس: ١٨٤/١٣.
(٧٤) يُنْظَرُ: الصّوفيّة نشأتُها وتطوُّرها: ١٧.
(٧٥)الكافي: ٤٤٨/٦.
(٧٦) مكارم الاخلاق: ٨٠.
(٧٧) فلسفة التربية: ١١٧.
(٧٨)تحف العقول: ٢١٤.
(٧٩)تحف العقول: ٢١٧.
(٨٠) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ٩٧.
(٨١) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ٩٧.
(٨٢) الكافي: ٨١/٥ .
(٨٣) الكافي: ٧٣/٥ .
(٨٤) الخصال: ٨٤.
(٨٥) تفسير العياشي: ٣٧٩/١.
(٨٦) قرب الاسناد: ٩٣ .
(٨٧) الكافي: ٢٠/٦ .
(٨٨) الكافي: ٢٠/٦ .
(٨٩) اي شاهت الوجوه: قبحت .
(٩٠) الكافي: ١٩/٦ ــ ٢٠ .
(٩١) حلية الاولياء: ١٨٣/٣.
(٩٢) تفسير العياشي: ١٦٧/٢.
(٩٣) تفسير العياشي: ١٦٧/٢.
(٩٤)الجواهر الروحية: ٤١.
(٩٥) الخصال: ٥٨٨ .
(٩٦) قرب الاسناد: ٢٠ .
(٩٧) بحار الانوار: ٢٢٦/١٤ .
(٩٨) السنة النبوية والطب الحديث: ٢١١ .
(٩٩) تاريخ اليعقوبي: ٣٢٠/٢ .
(١٠٠) فلسفة التربية: ٢٨.

(١٠١) الخصال: ٢٢٣ .

(١٠٢) الكافي: ٣٤٩/٢ .

(١٠٣) الكافي: ١٦٣/٢ .

(١٠٤) مناقب آل أبي طالب: ١٦٩/٣ .

(١٠٥) تفسير الأمثل: ٨٠/٣ .

(١٠٦) الكافي: ١٦٧/٢ .

(١٠٧) المحاسن: ١٣٣ ـ ١٣٤.

(١٠٨) جاء في المعجم الكبير للطبراني (١٥٤/٥)، وهو من أبناء العامة قول النبي صلى الله عليه وآله: ((إني قد تركت فيكم الخليفتين كتاب الله وعترتي وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض)).

(١٠٩) مجتمع اللاعنف: ٤١٢.

(١١٠) بحار الأنوار: ١٦٧/٧١.

(١١١) البيان والتبيين: ٨٤/١.

(١١٢)خزانة الأدب: ١١٧/٣.

(١١٣) ينظر: مروج الذهب: ٢٣٨/٣ ـ ٢٣٩، ١٠٩/٤ .

(١١٤) ينظر: مروج الذهب: ٢٣١/٣، وفيه تفصيل واف للحادثة.

(١١٥) جمهرة خطب العرب: ١٥٧/٢، ويظهر أنّ نصْح الخليفة الأموي من أجل إصلاحه فيه فائدة إصلاح المجتمع برمّته، وقد روى عليه السلام قول رسول الله صلى الله عليه وآله: ((صنفان من أمّتي إذا صلحا صلحتْ أمّتي، وإذا فسدا فسدت أمتي، قيل يا رسول الله ومن هما؟ قال: الفقهاء والأمراء..)) (أمالي الشيخ الصدوق: ٤٤٨) إنّ الإمامَ بمفرده لا يتمكّنُ من الوُصولِ إلى كلّ النّاسِ فانطلاقًا من مبدأ (اعملْ واجعلِ الآخرين يعملونَ معكَ) وجدْنا ذلك النّصحَ الرائعَ للخليفةِ الأمويّ من أجلِ بسطِ النّورِ بأكثرِ قدرٍ ممكنٍ.

(١١٦) بحار الانوار: ٢٣٠/٨٦.

(١١٧) وقد جاء ((قال محمد بن علي بن الحسين عليه السلام: إن الله عز وجل رضي الآباء للأبناء فحذرهم فتنتهم، ولم يرض الأبناء للآباء فأوصاهم بهم وإن شر الآباء من دعاه التقصير إلى العقوق وشر الآباء من دعاه البر إلى الإفراط)) تاريخ اليعقوبي: ٣٢١/٢، وهذا يدل على أنّ الآباء شديدو الحرص على الأبناء وكثيرو العطف عليهم .

(١١٨) العنف الاجتماعيّ وبعض مظاهره في المجتمع العراقي ـ مدينة بغداد أنموذجًا ـ: ١١.

(١١٩) أمالي الصدوق: ٤٠١.

(١٢٠) التاريخ الإسلامي دروس وعبر: ٩٧.

(١٢١) تحف العقول: ٢١٠.

(١٢٢) بحار الأنوار: ١٦٧/٧١.

(١٢٣) تاج العروس: ٢٨٨/١١، وبيت زهير في شرح ديوان زهير: ٥٠.
(١٢٤) نهج البلاغة: ١٢٠/١، وينظر: المصدر نفسه: ٩٢/٢.
(١٢٥) منهاج البراعة: ١٨٢/٥ .
(١٢٦) شرح ابن ميثم البحراني: ٣٥٠/١ .
(١٢٧) تحف العقول: ٢١٠، والحديث هذا مروٍ عن الإمام السجاد عليه السلام في الصحيفة السجادية دعاء رقم ٥٦، وليس هذا بمتكور؛ إذ ربما يكون قد صدر من الإمامين معًا بحكم أنّ النّاس كثيرًا ما تتعوذ من النّاس، وربما قد سمع الإمامان ذلك فكان ردّهما واحدًا كونهما يغرفان من النّبع نفسه.
(١٢٨) المحاسن: ٦٠١/٢.
(١٢٩) تحف العقول: ٢١١.
(١٣٠) إلى كل من تبنّى التعايش أنْ لا يجامل بعضًا لأجل بعض، وهذا الشّعار أساسٌ متينٌ لإقامة الصّلاح في الأرض، ومع أنه من أوليات متبني التعايش الا أن تبنّيهم تبنّ في التنظير لا في التطبيق حتّى أنّنا إذا جئْنا إلى هيئة الأمم المتّحدة وجدْناها لم تتصف بذلك مع أنّها قامت بالأصل لأجل السلم والأمن الدوليين، وقد قال فيها عبد الحسين هيكل: ((إذا كانت المشكلة المعروضة على هيئة الأمم بين دولتين كبرى وصغرى ضاعت الدّولة الصّغرى! وإذا كانت المشكلة بين دولتين صُغريين ضاعت المشكلة ! وإذا كانت المشكلة بين دولتين كُبريين ضاعت الأمم المتحدة)) (نقلا عن كتاب: مبادئ التعايش السلمي في الإسلام: ح ـ ز.)، هذا الاستحقار لبعض الدول وتقديم بعض الدول هو قاصمة الظهر للتعايش، وقد أثار دهشتنا عمّا بدر من هيئة الأمم يوم تراجعت في قرارها ضدّ من فعل الجرائم باليمنيين العُزّل بعد ساعاتٍ من قرارها؟!
(١٣١)المجالس والمسيرات: ٢١١.
(١٣٢) قصة الحضارة: ٣٣١/١٠.
(١٣٣)تحف العقول: ٢١٠.
(١٣٤) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام: ٤٣١.
(١٣٥)البيان والتبيين: ٥١٥/١.
(١٣٦) الإرشاد: ١٦٦/٢.
(١٣٧) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٨٩٢.
(١٣٨) فلاح السائل: ١٦٩.
(١٣٩) كل الأمم تسعى إلى أن تمجد عظماءها بل تسابقت في ذلك وتبارت؛ فقد مات نابليون وكتبت عنه الدراسات حتى تجاوزت مئة وخمسين ألف دراسة، ومات غاندي وكتبت عنه موسوعة بثلاث مئة مجلد، ومات شكسبير وقيل لو خُيِّرَ الانجليز بين احتلال الهند وأدب شكسبير لاختارت أدب شكسبير، وها هي تنشره في كل مكان حتى أنه أصبح جزءاً من مناهجنا، ولم يصبح نهج أبناء الرسالة المحمدية مثلما أصبح

هو. أقول لو كان لديهم عظماء مثل عظمائنا فماذا كانوا يفعلون؟! وماذا كانوا يصنعون؟! سأقول افتراضا ـ وليسامحني القارئ ــ لو كان لديهم أهل البيت عليهم السلام لكان مجتمعنا عارفا بأهل البيت عليهم السلام أكثر مما هو عليه الآن؛ لأنّ مناهجنا المستوردة سوف تغنينا بذلك.

(١٤٠) ولعلّهُ من هنا يمكن أنْ نجد تحليلا لجواب أمير المؤمنين عليه السلام لوالد الفرزدق بأنْ يعلمه القرآن، فيذكر: ((عن أبي عبيدة قال: قال يونس أبو البيداء: قال الفرزدق:... وفد بي أبي إلى عليّ بن أبي طالب (صلوات اللّه عليه) عامَ الجمل، فقال له: إن ابني هذا يقول الشّعر، فقال: علّمهُ القرآنَ، فهو خيرٌ له)) (الأغاني: ٢٥٩/٢١)، ولا يعني هذا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ينبذ الشعر، بل أراد أنْ يبتدئ هذا الفتى بمعرفة القرآن؛ إذ إنّه سيشذب روحه، ويعلمه النّهج السليم، فلا يجد الباطل إليه سبيلا، وسيغدو شعره ربانيّا نابعًا من أروع الكلام (القرآن الكريم)، وتكون بلاغته سماويّة لا أرضيّة وممّا يؤكّدُ أنّهُ أراد ذلك ، ولم يرد تخطيء الشّعر أنّنا نجد حفيده الإمام الصادق عليه السلام يحثُّ ويشجّع على تلاقف أدب العبديّ؛ لأنّه ضَمِنَ به تلك البلاغة الروحيّة التي أراد أمير المؤمنين إيجادها في الفرزدق، فقد روي: ((عن علي بن النعمان، عن سماعة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا معشر الشّيعة ! علّموا أولادكم شعر العبديّ، فإنّهُ على دين الله)) (اختيار معرفة الرجال: ٧٠٤/٢)، فهناك من ليس على دين الله. إذن فلا خير في بلاغة جميلة الشكل عديمة الروح.

(١٤١) عيون الأخبار: ٢٢٧/٢.

(١٤٢) الكافي: ٥٤٩/٣.

(١٤٣) أمالي الصدوق: ٣٢٦.

(١٤٤) سيرة أعلام النبلاء: ٤٠٨/٤ .

(١٤٥) تحف العقول: ٢١٥.

(١٤٦) مقتل الحُسَيْن بن علي بن أبي طالب: ٩٤، وروي بغير صورة في كتاب: الذرية الطاهرة: ١٣٠، فعن الإمام الحُسَيْن أيضا، فيذكر انه جاء عن ((الحُسَيْن بن علي، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه (وآله) وسلم): " يا بني هاشم أطيبوا الكلام وأطعموا الطعام ")).

(١٤٧) وجدت رواية، وأقرُّ منذ البدء انها منتحلة أو فيها تدليس، وهي أنه لّما ((غلب النساء على جنازة كثير يبكينه، ويذكرن عزة في ندبتهن له. قال: فقال أبو جعفر محمد بن علي: افرجوا لي عن جنازة كثير لأرفعها. قال: فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل يضربهن محمد بن علي بكمه ويقول: تنحين يا صواحبات يوسف. فانتدبت له امرأة منهن فقالت: يا بن رسول الله لقد صدقت، إنا لصواحبات يوسف وقد كنا له خير منكم له. قال: فقال: أبو جعفر لبعض مواليه: احتفظ بها حتى تجيئني بها إذا انصرفنا. قال: فلما انصرف أتي بتلك المرأة كأنها شرارة النار. فقال لها محمد بن علي: أنت القائلة إنكن ليوسف خير منا؟ قالت: نعم ! تؤمنني غضبك يا بن رسول الله؟ قال: أنت آمنةٌ من غضبي فأبيني. قالت: نحن يا بن رسول الله دعوناه إلى اللذات من المطعم والمشرب والتمتع والتنعم، وأنتم يا معشر الرجال ألقيتموه في الجب

وبعتموه بأبخس الأثمان وحبستموه في السجن. فأينا كان عليه أحنى وبه أرأف؟! فقال محمد: لله درك ! ولن تغالب إمراة إلا غلبت. ثم قال لها: ألك بعل؟ قالت: لي من الرجال من أنا بعله. قال: فقال أبو جعفر: صدقت، مثلك من تملك بعلها ولا يملكها. قال: فلما انصرفت قال رجل من القوم: هذه زينب بنت معيقب)) (الأغاني: ٢٨/٩)، وسبب رد هذه الرواية أنّها تتنافى مع الخلق الإمامي؛ فالروايات السابقة كحادثة النصراني والجارية تثبت عكس هذه الرواية تمامًا، ومن المحال أن يكون صاحب تلك الروايات ورواية تشييع كثير واحدة، فالإمام يضرب بكمه وينهرهن وترد عليه إحداهن ويطلبها للتحاور ثم تطلب الأمان منه وكأنه سلطان جائر، ثم تخاطبه وتفحمه ويسلم الإمام بغلبتها؟! أليس هذا مبالغا به، أيكون الإمام ضعيف الحجة الى هذا الحدّ حتى أنّ صاحب التذكرة الحمدونية (٢٢٤/٧) ذكر هذه الرواية في ضمن موضوع: (في الحجج البالغة والأجوبة الدامغة)، أي إن امرأة أفحمت الإمام بحجتها وفيه يقول: ((عبد الله بن عطاء: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي)) (البداية والنهاية: ٣٤٠/٩)، والباحث لا يستبعد خروج الامام في جنازة كثير، بل يستبعد التي تصور تقاطع الامام مع بعض ابناء عصره من النساء وتعييرهن بصورة فيها نوع من التعالي، ويؤيد استبعادنا لهذه الرواية أنها تقرر قول الامام الصادق عليه السلام: ((إن لكل رجل منا رجل يكذب عليه))، المعتبر:٢٩.

(١٤٨) الكافي: ١٨٨/٢.

(١٤٩) تحف العقول: ٢١٦.

(١٥٠) ومن فتاوى المرجعيّة في الوقت المعاصر تحريم ((هجر المسلم أزيد من ثلاثة أيّام على الأحوط لزومًا)) المسائل المنتخبة: ١٤.

(١٥١) الإسلام يقود الحياة: ١٢٨، وينظر: الدين الإسلامي ـ بحث في الأصول والمبادئ ـ: ١٤ ــ ١٥.

(١٥٢) مناقب آل ابي طالب: ٣٣٧/٣.

(١٥٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب: ٢٨ و التداوليّة اليوم: ٥٥.

(١٥٤) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ١٠٢.

(١٥٥) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ٩٧.

(١٥٦) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ٩٧.

(١٥٧) التذكرة الحمدونية: ١٧٨/٢، والبداية والنهاية: ٣٤١/٩.

(١٥٨) البيت للشاعر أبي الفتح علي بن محمد البستي وهو في: حياة الحيوان الكبرى: ٢٥٠/١.

(١٥٩) الكافي: ١٨٨/٢.

(١٦٠) تحف العقول: ٢١٤.

(١٦١) الطريق الى الامتياز: ٧٢ ـ ٧٣ .

(١٦٢) تحف العقول: ٢١٢.

(١٦٣) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ٥١٣/٢.

(١٦٤) تحف العقول: ٢١٢.

(١٦٥) لسان العرب (مادة فجر): ٤٥/٥.

(١٦٦) تحف العقول: ٢١٥.

(١٦٧) تحف العقول: ٢١٠.

(١٦٨) الكافي: ١٧٣/٢.

(١٦٩) التذكرة الحمدونية: ٣٥٤/٤، وينظر: البداية والنهاية: ٣٤١/٩.

(١٧٠)تحف العقول: ٢١١.

(١٧١) مناقب آل أبي طالب: ٣٣٧/٣، وينظر: البداية والنهاية: ٣٤١/٩.

(١٧٢) الكافي: ٣٦٥/٢.

(١٧٣) السياسة من واقع الإسلام: ٢٣٣.

(١٧٤)تحف العقول: ٢١٣.

(١٧٥)تحف العقول: ٢١٠.

(١٧٦) وهناك رواية: ((إني أراك لو سمعت إنسانا يشتم عليا فاستطعت أن تقطع أنفه فعلت، قلت: نعم، قال: فلا تفعل، ثم قال: إني لاسمع الرجل يسب عليا وأستتر منه بالسارية، فإذا فرغ أتيته فصافحته)) المحاسن: ٢٦٠/١.

(١٧٧)فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: ٢٣٦.

(١٧٨) مشكاة الأنوار: ٣٨١.

(١٧٩)تحف العقول: ٢١٤.

(١٨٠) الكافي: ٣٢٦/٢.

(١٨١) فقد ((كتبوا مئات الكتب ضد الإسلام... ولا زالوا يظهرون الأمر كذلك على أن الإسلام قد انتهى وأفكاره أصبحت قديمة)) (الإسلام لماذا: ٣٩٢)، وينظر: الأمة الإسلامية آلام وآمال (بحث منشور): ٥٧٠، ويمكن التأمل في النشيد الطلياني في التحريض على قتال المسلمين ومحو القرآن، وقد ذكره الأمير شكيب أرسلان في كتابه ـ لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم ـ: ٥٧ ـ ٥٨، ومنه ((يا أماه... ألا تعلمين أن إيطالية تدعوني، وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحًا مسرورًا لأبذل دمي في سحق هذه الأمة الملعونة، ولأحارب الديانة الإسلاميّة التي تجبر البنات الأبكار للسلطان، سأقاتلُ بكلّ قوةٍ لمحوِ القرآنِ ... وإن لم أرجع فلا تبكي على ولدكِ...، وإن سألكِ أحدٌ عن عدمِ حدادكِ عليّ فأجيبيه إنّهُ مات في محاربةِ الإسلامِ)) ، فإذا كانت هذه نظرتهم إلينا، فينبغي نشر علومنا الحقة تأليفًا وترجمة فضلًا عن إشاعة النّهج السّماوي في طبائعنا كي ندحض ادعاءاتهم، وربّما نجدُ اليوم داعش تجسيدًا لما يقولونه عنّا وما يفعله زعيمهم أبو بكر البغداديّ من تجسيد (تجبر البنات الأبكار للسلطان)، فما هو إلا من نتاج أعداء الإسلام بطريقةٍ أكثر مكرًا.

(١٨٢)اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): ٤٧٦/٢.
(١٨٣)الموجه الفني: ٣٥.

قائمة المصادر والمراجع

- ابنك المراهق كيف تفهمه وترعاه،مارتاهاريس وأخريات، تر: د. ضياء الدين أبو الحب وعدنان محمد حسن، طبعة مكتبة النهظة ـ بغداد، ط٢، ١٩٨٦م.
- اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، تح: مير داماد الأستراباديّ والسيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، (د.ت).
- إدارة الأفراد والعلاقات الإنسانية، عادل حسن،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ، ١٩٩٨.
- الإدارة التعليمية ـ أصولها وتطبيقاتها ـ محمد منير مرسي،عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٦م.
- الإدارة المدرسية ــ مبادئها وعملياتها ــ، جيمس هارولد فوكس وآخرون، تر:وهيب ابراهيم سمعان،القاهرة، مكتبة النهضة الحديثة،١٩٨٣.
- الإدارة المدرسية الحديثة، محمد منير مرسي، عالم الكتب، القاهرة،١٩٩٥.
- الإدارة والإشراف التربوي بين النظرية والتطبيق، يعقوب نشوان، دار الفرقان ـ عمان، ١٩٨٦.
- الإرشاد، الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، ط٢، ١٤١٤ - ١٩٩٣م.
- استراتيجيات الخطاب (مقاربة لغويّة تداوليّة)، عبد الهادي بن ظافر الشّهريّ، دار الكتب الوطنيّة، بنغاري ـ ليبيا، ط١، ٢٠٠٤م.
- الإسلام لماذا، د. عليّ القائميّ، تر: د. سلمان الأنصاريّ، دار النبلاء، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
- الإسلام يقود الحياة، السيد محمد باقر الصدر، مكتبة الكلمة الطيبة، بغداد، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١٢م.
- أعلام الهداية (الإمام محمد بن علي الباقر)، المجمع العالمي لأهل البيت، قم إيران ط٢، ١٤٢٥هـ.
- إعلام الورى بأعلام الهدى، الشيخ الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ)، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، قم المشرفة، ط١، ١٤١٧ هـ.
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني (ت٣٥٦هـ)، دار إحياء التراث العربي.
- الأمالي، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، تح: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة ــ قم، ط١، ١٤١٧هـ.

- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، قسم التّرجمة والنّشر لمدرسة الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام، (د.ت)
- بحارُ الأنْوارِ الجامعة لدُرر أخْبار الأئمّة الأطْهار، الشّيخ مُحَمَّد باقر المَجْلسيّ (ت ١١١٠هـ)، دار إحياء التُّراث العَرَبِيّ ، بيروت ــ لُبْنان، ط٣، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
- البداية والنهاية، ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، تح: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ــ لبنان، ط١، ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م.
- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ (الصفار) (ت ٢٩٠ هـ)، تح: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، مطبعة الأحمدي، منشورات الأعلمي، طهران، ١٤٠٤ - ١٣٦٢ ش.
- البيانُ والتَّبْيين، أبو عُثمان عُمَر بن بَحْر الجاحِظ (ت٢٥٥هـ)، تح: عبدالسّلام مُحَمَّد هارون، مَكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
- تاج العروس، الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تح: علي شيري، دار الفكر - بيروت، ١٤١٤ - ١٩٩٤م.
- التاريخ الاسلامي ــ دروس وعبر ــ، آية الله السيد محمد تقي المدرسي، الناشر: دار نشر المدرسي للطباعة والنشر، ط٥، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م
- تاريخ مواليد الأئمة، ابن الخشاب البغدادي (ت٥٦٧هـ)، مكتب آية الله العظمى المرعشي النجفي - قم، ١٤٠٦.
- تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر المعروف باليعقوبي (ت٢٨٤هـ)، دار صادر، بيروت - لبنان، (د،ت).
- تحف العقول عن آل الرسول، أبو محمد بن الحسن بن علي الحرّانيّ من أعلام القرن الرابع، المكتبة الحيدرية، ط١، ١٤٢٦هـ.
- التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)، آن روبول وجاك موشلار، ترجمة د. سيف الدين دغفوس و د. محمد الشيبانيّ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
- التذكرة الحمدونية، ابن حمدون (ت٥٦٢هـ)، تح: احسان عبّاس و بكر عبّاس، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
- تفسير العياشي، أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمى السمرقندى المعروف بالعياشى رضوان الله عليه، تح: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الاسلامية، طهران - سوق الشيرازي (د.ت).
- تكوين الأسرة في الإسلام، د.علي القائمي، تر: البيان للترجمة، دار النبلاء، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية - بيروت (د.ت).
- الجواهر الروحيّة، العلامة الشهيد السيد حسن القبانجي، المؤسسة الإسلامية ـ قم، ط١، (د.ت).
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ.
- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين دميري (ت٨٠٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٢، ١٤٢٤م.
- خزانة الأدب، البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، تح: محمد نبيل طريفي وإميل بديع اليعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- الخصال، العلامة محمد بن علي بن الحسين بن بابويه المعروف بالصدوق (ت٣٨١هـ)، تح: علي اكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ١٤٠٣هـ.
- الدر النظيم، يوسف بن حاتم الشامي العاملي (ت٦٦٤هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، (د.ت).
- الدعم النفسي ضرورة مجتمعيّة، د. مرسلينا حسن شعبان، اصدارات شبكة العلوم النفسية العربية، ٢٠١٣م.
- الدين الإسلاميّ - بحث في الأصول والمبادئ -، العلامة السيد حسن علي القبانجي، تح: مؤسسة إحياء التراث الشيعيّ، منشورات بقية العترة، النجف الأشرف، ط١، ١٤٢٦هـ.
- الذرية الطاهرة، أبوبشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي (ت٣١٠هـ)، تح: محمد جواد الحُسَيْني الجلاليّ، مؤسسة الأعلمي، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- رؤية إسلامية للمسائل الاجتماعية، دار التوحيد، دولة الكميت، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- السنة النبوية والطب الحديث، د. صادق عبدالرضا عليّ، دار المؤر العربيّ، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- السياسة من واقع الإسلام، السيد صادق الحسيني الشيرازي، مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر، بيروت ـ لبنان، ط٤، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- شجرة الحضارة، رالف لنتون، تر: أحمد فخري، مكتبة الإنجلو مصريّة، (د.ت).
- شرح العروة الوثقى - التقليد (موسوعة الإمام الخوئي ت ١٤١٣هـ)، تقرير بحث السيد الخوئي للغروي، مؤسسة إحياء آثار الإمام الخوئي قدس سره، ط٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- شرْحُ ديوان زُهير بن أبي سُلمى، صنعة ثَعْلب، قدَّمَ له ووضَعَ حَواشيهِ: د. حنّا نصر الحتّي، دار الكتاب العَرَبِيّ، بيروت ـ لُبْنان، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

- شرح نهج البلاغة، ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت٦٧٩هـ)، تح: يوسف علي منصور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- الصُّوفيّة نشأتُها وتطوُّرها، مُحَمَّد العبده وطارق عبد العليم، دار الأرقم ــ الكويت، ط٢، ١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م.
- الطريق إلى الامتياز، إبراهيم الفقي، دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- العنف الاجتماعيّ وبعض مظاهره في المجتمع العراقي ــ مدينة بغداد أنموذجًا -، أسماء جميل، دار الشؤون الثقافيّة العامة ـ بغداد، ط٢، ٢٠١٢ م.
- عيون الأخبار، ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤ - ٢٠٠٣ م.
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، أبو عبيد البكري، تح: إحسان عباس ، مؤسسة الرسالة، لبنان - بيروت، ١٩٧١.
- الفصول المهمة في أصول الأئمة، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي، تح: محمد بن محمد الحسين القائيني، مؤسسة المعارف، ايران، ط١، ١٤١٨ هـ. ق.
- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، علي بن محمد أحمد المالكي (ابن الصباغ) (ت٨٥٥هـ)، تح: سامي الغريري، مطبعة ستارة، نشر: دار الحديث للطباعة والنشر، قم، ط١، ١٤٢٢هـ
- فلاح السائل، السيد ابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، (د.ط)، (د.ت).
- فلسفة التربية، أ. روبول، تر: عبدالكريم معروفي، مراجعة عبدالجليل ناظم، دار توبقال، ط١، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٩٤م.
- فوبيا الزواج، وجدان التيجاني الصديق عباس، مقال منشور في ضمن مجلة: الامن والحياة، العدد ٤٠٢، (د.ت).
- قرب الاسناد، الحميري القمي (ت ٣٠٤ هـ)، تح: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - قم، ط١، ١٤١٣.
- قصة الحضارة، ول ديورانت، (الشرق الادنى)، تر: زكي نجيب وآخرين، دار الجيل ــ بيروت، المنظمة العربية للتربية والتعليم ــ تونس، ١٩٨٨ م.
- الكافي، الشيخ الكليني (ت٣٢٩هـ)، تح: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية - طهران، ط٥، ١٣٦٣ش.
- كيف تُسعد حياتك الزوجية، السيد هادي المدرسيّ، دار محبي الحسين - كربلاء، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، ط١، (د. ت).
- لماذا تأخّرَ المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم، الأمير شكيب أرسلان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، بيروت، (د. ت).
- مبادئ التعايش السلميّ في الإسلام - منهجا وسيرة -، د. عبدالعظيم إبراهيم المطعنيّ، دار الفتح للإعلام العربيّ، القاهرة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- المجالس والمسيرات، القاضي النعمان المغربي (ت٣٦٣هـ)، تح: الحبيب الفقي، إبراهيم شبّوح، محمد اليغلاوي، دار المنتظر، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٩٦ م.
- مجتمع اللاعنف ـ دراسة في واقع الأمة الإسْلاميَّة ـ، السيد حسن عزّ الدّين بحر العلوم، دار الزهراء، إيران ـ قم، مؤسسة العطار ـ النجف الأشرف، ط١، ١٤٢٧هـ.
- المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت٢٧٤هـ)، تح: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية - طهران، ط١، ١٣٧٠ - ١٣٣٠ ش.
- مختصر دراسة للتاريخ، أرنولد توينبي، تر: فؤاد محمّد شبل،الادارة الثقافيّة في جامعة الدول العربيّة، القاهرة - ط١، ١٩٦٠ م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)، منشورات دار الهجرة ايران - قم، ط٢، ١٤٠٤ - ١٩٨٤م.
- المسائل المنتخبة العبادات والمعاملات، فتاوى سماحة السيدعلي الحسينيّ السيستانيّ، مطبعة الميزان، بغداد، (د.ت).
- مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، علي الطبرسي (ت: ق ٧)، تح: مهدي هوشمند، دار الحديث، ط١، ١٤١٨هـ.
- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام، محمد بن طلحة الشافعي (ت٦٥٢هـ)، تح: ماجد ابن أحمد العطية، (د.ط)، (د.ت).
- المعتبر، المحقق الحلي (ت ٦٧٦هـ)، تح: عدة من الأفاضل / إشراف: ناصر مكارم شيرازي، مطبعة مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام - قم، ١٣٦٤ ش.
- المعجم الكبير، الطبرانيّ (ت ٣٦٠هـ)، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥ - ١٩٨٤م.
- المَقاييس في اللُّغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا (ت٣٩٥هـ)، تح: شهاب الدِّيْن أبو عمرو، دار الفِكْر، بيروت ـ لُبْنان، (د. ت).

- مقتل الحُسَيْن بن علي بن آبي طالب، الإمام الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تح: محمد شجاع ضيف الله، دار الأوراد، الكويت، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م.
- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب (ت٥٨٨هـ)، تح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، مطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م.
- مكارم الأخلاق، الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، منشورات الشريف الرضي، ط٦، ١٣٩٢ - ١٩٧٢م.
- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، العلامة حبيب الله الخوئي، تح: علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م.
- المهارات الأساسية في العلاقات الإنسانيّة، رأفت عثمان، وزارة الاعلام والثقافة، أبوضبي، ٢٠٠١م.
- مواقف الأسرة العربية من اضطراب الطفل (دراسة سيكولوجية تتناول الطفل بشكل عام)، د.كريستين نصّار، جروس برس، طرابلس - لبنان، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، عبد العليم إبراهيم، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط٧، (د.ت).
- نحو أسرة سعيدة، الشيخ حبيب الكاظمي، مكتبة سلمان المحمدي - بغداد، ط١، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م.
- نحو تطوير الإدارة المدرسية - دراسات نظرية وميدانية -، أحمد ابراهيم أحمد، دار المطبوعات الجديدة، ١٩٨٥.
- نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني (من علماء القرن الخامس)، تح: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، نشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام - قم المقدسة، ط١، ١٤٠٨هـ.

البُحوث والمقالات المنشورة في الدوريات:

- الأمة الإسلامية آلام وآمال، بحث للأستاذ عبد الكريم صار (باحث من السنغال) منشور في ضمن كتاب: آلام الأمة الإسلاميّة وآمالها (مجموعة مختارة من المقالات والمحاضرات للمؤتمر الدولي الثالث عشر للوحدة الإسلاميّة)، إعداد سيد جلال الدين ميرافائيّ، المجمع العالميّ للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة، ط١، ١٤٢١هـ.
- العنوسة وخطرها على المجتمع، د. مصطفى محمد أمين، مقال منشور في ضمن: مجلة كلية العلوم الاسلامية، المجلد السابع، العدد ٢/١٤، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- المشهد العراقيّ جدليّة العنف والتسامح، د. ناهدة عبد الكريم حافظ، بحث منشور في مؤتمر السليمانيّة (ثقافة اللاعنف في التعامل مع الآخر)، بيت الحكمة، بغداد، ط١ ٢٠٠٨م.